مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية
المجلد 40- 3- 2024: 158-186

Damascus university Journal for the economic and political sciences
Vol 40 - 3- 2024: 158 -186

تطور السياسة الخارجية السورية بعد عام 2000

نور الدين أنيس إبراهيم[1]، منير سليمان السعد [2]

1. طالب ماجستير، قسم العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق
nooraldeen.ib@damascusuniversity.edu.sy

2. مدرس، قسم العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق.
munir.alsaad@damascusuniversity.edu.sy

الملخص

تتبع أهمية دراسة السياسة الخارجية لأي دولة كونها تُوضّح قوة الدولة وتأثيرها على الساحة الدولية والإقليمية، وهذه السياسة الخارجية تخضع لمدى قدرة صانعها على صياغتها بشكلٍ مؤثرٍ وفاعلٍ ومرنٍ وقادرتها على تحقيق أهداف الدولة ومصالحها كونها تخضع لمعطيات الزمان والمكان والمفاسد والمصالح وهي كَمن يسيُر ضمن حقل ألغام دون أن يتعرض للضرر، بعد تولي الرئيس بشار الأسد السلطة في سورية عام 2000 عمل على إحداث نقلة نوعية في السياسة الخارجية السورية قادرةً على الاستجابة للمتغيرات الداخلية والدولية والإقليمية والتفاعل معها معتمدةً على التغيير والتكيف في سياستها تجاه محيطها الإقليمي والدولي، فقد عمل على تطوير علاقات سوريا الخارجية مع محيطها الإقليمي والدولي من خلال تفعيل الاتفاقيات الاقتصادية والسياسية وإعطاء دور أكبر للجامعة العربية والتضامن العربي مع التأكيد على الثوابت الوطنية واعتماد الهدوء والعقلانية والابتعاد عن ردود الأفعال وعدم الانفعالية، فالأسد يمتلك مشروعاً سياسياً واقتصادياً متكاملاً ولديه رؤية استراتيجية قادرة على مواجهة التغيرات التي طرأت على البيئة الاقليمية والدولية من أجل الحفاظ على دور سوريا المتميز في محيطها العربي والإقليمي، وإن أهم ما يميز السياسة الخارجية السورية هو التصدي للظواهر السلبية في العلاقات الدولية والهيمنة الأمريكية على العالم والذي كلفها الكثير، والتأكيد على الثوابت والمصلحة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية، المرونة، التغيير والتكيف، الثوابت الوطنية، المصلحة الوطنية، سورية.

تاريخ الايداع: 2023/12/13
تاريخ النشر: 2024/4/1

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

The development of syrian foreign policy after 2000

Nour Aldeen Anees Ibrahim[1]
Mounir Suleiman Al-Saad[2]
1 - Master's student, Department of International Relations, Faculty of Political Science, University of Damascus
nooraldeen.ib@damascusuniversity.edu.sy
2 - Lecturer, Department of International Relations, Faculty of Political Science, University of Damascus munir.alsaad@damascusuniversity.edu.sy

Received: 13/12/2023
Accepted: 1/4/2024

Copyright: Damascus University-Syria
The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

Abstract:

The importance of studying the foreign policy of any country stems from the fact that it demonstrates the power of the state and its influence on the international and regional arena, and this foreign policy is subject to the extent of the ability of its maker to formulate it in an effective, effective and flexible manner and is capable of achieving the state's goals and interests because it is subject to the givens of time and place, corruptions and interests, and it is like someone walking through a minefield without To be exposed to harm, after President Bashar al-Assad assumed power in Syria in 2000, he worked to bring about a qualitative shift in Syrian foreign policy capable of responding to internal, international and regional changes and interacting with them, relying on change and adaptation in its policy towards its regional and international environment. He worked to develop Syria's foreign relations. With its regional and international surroundings by activating economic and political agreements and giving a greater role to the Arab League and Arab solidarity while emphasizing national constants and adopting calm and rationality and staying away from reactions and lack of emotion, Al-Assad has an integrated political and economic project and has a strategic vision capable of confronting the changes that have occurred in the regional environment. and international affairs in order to preserve Syria's distinguished role in its Arab and regional surroundings. The most important feature of Syrian foreign policy is confronting negative phenomena in international relations and American hegemony in the world, which has cost it a lot, and emphasizing constants and national interest.

Key words: Foreign policy, Flexibility, Change and adaptation, National constants, National interest. Syria

المقدمة

حَظيتْ السياسةُ الخارجيَّةُ السوريةُ بشكلها المعاصر بتقدير كتاب ومحللين سياسيين عالميين وعرب والتي أسسها وأرسى قواعدها الرئيس الراحل حافظ الأسد معتمدةً على الايدلوجية القومية المُستقاة من مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي، والنظرة الخاصة للرئيس الأسد المعتمدة على مبادئ النظرية الواقعية في السياسة، حيث تعتبر منطقة الشرق الأوسط أكثر المناطق أهميةً وحساسيةً في العالم لاعتبارات استراتيجية عديدة، وتشكل سوريا إحدى أهم مناطق الشرق الأوسط، فكان توجه هذه السياسة نحو محيطها العربي والإقليمي ومناهضة الصهيونية ولعب دور في الصراع العربي الإسرائيلي ودعم الحركات الثورية العربية، وبعد تولي بشار الأسد الحكم في سوريا بعد عام 2000 استمرت السياسة الخارجية السورية في نفس المسار الذي رسم خطوطه الراحل حافظ الأسد لكن الأحداث التي شهدتها المنطقة منذ توليه السلطة كأحداث 11 أيلول 2001 والحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية بحجة مكافحة الإرهاب والغزو الامريكي للعراق 2003، و حادثة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري 2005 وحرب تموز عام 2006 والتقارب التركي مع سوريا وغيرها من الأحداث الدولية والإقليمية وصولاً إلى الحرب المدمرة على سوريا عام 2011 وحركات الاحتجاج في المنطقة العربية، كل هذه الأحداث مجتمعةً لعبت دوراً هاماً في الحد من قدرة سوريا على لعب دورها الإقليمي في المنطقة، فعمدت سوريا على تغيير سياستها الخارجية والتكيف مع الأوضاع الراهنة، فسعت إلى زيادة التنسيق والتعاون مع الدول العربية وتقوية علاقاتها الخارجية مع الدول التي تتمتع بعضوية دائمة في مجلس الأمن كالصين وروسيا وتقوية موقعها الإقليمي بالتعاون مع إيران والسعودية ويمكننا القول بأن السياسة الخارجية السورية ساعدت على انتقال سورية الحديثة من مرحلة كونها ساحة للصراع والتنافس إقليمياً ودولياً إلى مرحلة كونها لاعباً أساسياً فوق رقعة الشطرنج.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على السياسة الخارجية السورية وتطورها بعد تولي الرئيس بشار الأسد السلطة في سوريا عام 2000 وماهية التغيرات التي حصلت في السياسة الخارجية السورية والأحداث والتحولات التي شهدتها المنطقة والتغيرات التي طرأت على بنية النظام الدولي وكيف استطاعت سورية أن تتكيف مع الأوضاع القائمة وتغير من سياستها الخارجية للخروج من الأزمات التي حلت بالمنطقة بدءاً من أحداث أيلول 2001 ونهايةً بالأزمة السورية 2011 وحالة الحصار التي فرضت على سوريا وذلك من خلال سياسةٍ خارجيةٍ مُتَّزنةٍ تتصف بالهدوء والعقلانية وذلك بالعودة إلى محيطها العربي والإقليمي وإقامة علاقات متوازنة على المستوى الدولي مع كل من روسيا والصين والانفتاح والحراك الدبلوماسي النشط من أجل مقاومة الضغوط الأمريكية عليها.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة كونها تسلط الضوء على تطور السياسة الخارجية لدولة تقع في قلب منطقة الشرق الأوسط التي تعتبر مسرحاً للتفاعلات الدولية و مفتاح الاستقرار والسلام في المنطقة ولاعباً مهماً وأساسياً في قضاياه، وكيف استطاعت سوريا من تكثيف نشاطها الدبلوماسي وبناء سياسة خارجية فاعلة ساعدتها على استعادة علاقاتها مع دول إقليمية ودولية من أجل تجاوز الأزمات التي واجهتها.

إشكالية الدراسة

عَّصفت بمنطقة الشرق الأوسط بعد عام 2000 أحداث وأزمات أدت إلى حدوث تغيرات في التحالفات الإقليمية والدولية وجعلت من صانع القرار في سوريا أن يحسب بدقة موازين القوى ويعرف كيف يواجه الأزمات ويخرج منها بأقل الخسائر وعدم التفريط بالحقوق والثوابت الوطنية، ويكون السؤال البحثي: **كيف استطاعت سوريا أن تغير سياستها الخارجية وتتكيف مع التحولات الإقليمية والدولية، وكيف استطاعت بناء سياسة خارجية فاعلة تجاه الازمات التي مرت بها المنطقة**

وتتفرع عنها الاسئلة التالية:

1 – ما مدى تأثير الأزمات التي مرت بها المنطقة على السياسة الخارجية السورية ؟

2 –كيف استطاعت سورية من خلال سياسة خارجية ناجحة من توثيق علاقاتها مع دول كبرى صديقة وعدم الرضوخ لقوى كبرى معادية ؟

3 – كيف استطاعت سوريا بناء علاقات ثابتة ومستقرة من جهة وإعادة علاقاتها من جهة اخرى مع دول إقليمية وعربية ؟

فرضية الدراسة

شهدت منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2000 حدوث أزمات عديدة جعلت من صانع السياسة الخارجية السورية يتبع سياسة خارجية تتصف بالمرونة والتغيير تجاه القوى الإقليمية والدولية وفي مواجه هذه الأزمات، مُستفيدةً من التحولات والتغيرات التي طرأت على المنطقة واستطاعت سورية تقوية علاقاتها الخارجية مع دول إقليمية وكبرى مما ساعدها على استعادة دورها كلاعبٍ مهمٍ في قضايا المنطقة.

منهج الدراسة:

وسوف يتم استخدام (منهج تحليل النظم) لديفيد أيستون والتعرف من خلاله على كيف يحافظ النظام على استمراره كنظام من السلوك في عالم من الاستقرار والتغيير ، أى كيف يحافظ على وجودة عبر الزمن و التركيز على أسباب استقرار أو عدم استقرار النظام السياسي، كون النظام يواجه مطالب وتهديدات وإن التفاعل سواء فيما بين الوحدات المكونة للنظام أو بين النظام ومحيطه يصل إلى درجة الاعتماد المتبادل بمعنى أن أفعال وحدة ما تؤثر على باقي الوحدات وأن التغير في البيئة يؤثر على النظام وأن أفعال النظام تؤثر في البيئة، وقدم أيستون تحليل ديناميكي للحياة السياسية تمر بأربع مراحل تبدء بالمدخلات: (مطالب – دعم وتأييد – مساندة) وتمر بعملية تحويل: (استيعاب لمطالب البيئة داخل أبنية النظام ومن ثم فرزها لتحويل بعضها إلى قرارات) وتنتهي بالمخرجات: (تأثيرات النظام على البيئة عن طريق القرارات والسياسات لمواجه المطالب) والتغذية العكسية: (تشير إلى عمليه تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسي عن نتائج سياساته ومن ثم فهي عمليه تفاعل بين المدخلات والمخرجات وعلى ضوئها تجري عمليه لتصحيح مسار النظام السياسي)

الدراسات السابقة

دراسة بعنوان "**سوريا تحت حكم بشار**" تحديات السياسة الخارجية، للمجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (الشرق الأوسط) وتؤكد الدراسة على أنه بعد الحرب العراقية تقلصت سياسة الولايات المتحدة تجاه سورية إلى مجرد سلسلة من المطالب والتهديدات أما السياسة السورية فقد كانت قائمة على أساس " فلننتظر ونرى" بحيث لا تقدم إلا القليل من التنازلات، ومؤملةً باجتياز العاصفة في

الوقت الذي ترفض فيه التنازل عن ما تراه أسلحة ماضية تتمثل في (تأييد حزب الله والجماعات الفلسطينية) ما دام الصراع ضد إسرائيل محتدماً ولكن وعلى الرغم من الطريق المسدودة القائمة حالياً، فإن الأوضاع الإقليمية الراهنة تتيح فرصة لجهود دبلوماسية مكثفة بقيادة الولايات المتحدة، من أجل إحياء عملية السلام السورية الإسرائيلية وبالتالي إحداث تغييرات مهمة في السياسة السورية.

ودراسة بعنوان "**انعكاسات الأزمة السورية على المستويات المحلية والإقليمية، علي نجاة**" ورأى فيها الباحث أن الأزمة السورية أدخلت المنطقة في حالة استقطاب سياسي جديد وأدت إلى وجود العديد من الجهات الفاعلة في الأزمة، وأن الحكومة السورية غير مستعدة لوجود عسكري أمريكي في بلادها، كما توترت علاقات تركيا مع المملكة العربية السعودية والإمارات بسبب هذه الأزمة، كما أدت إلى زيادة الانشطة الإرهابية على المستوى الدولي، وكذلك تصاعدت التوترات بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وكذلك أدت إلى نشوء خلاف بين الولايات المتحدة وأوربا بسبب المهاجرين

وتحدثت دراسة بعنوان "**السياسة الخارجية السورية (أيار 2003 – كانون الثاني 2011)**" محمد سيد رصاص، عن الانفتاح الغربي والامريكي تجاه سوريا والذي كان نتيجة الفشل الإسرائيلي في حرب تموز 2006 وإن سياسة الرئيس الامريكي باراك اوباما في عزل سوريا قد فشلت وأن عهداً أمريكياً جديداً من خطب ود دمشق سيبدأ، وذلك في سبيل فك الارتباط بين سوريا وإيران مقابل إعطاء سوريا مكاسب مثل استعادة الجولان السوري المحتل وتحسين الوضع الاقتصادي، وخلص الكاتب إلى أن الذين تقاربوا مع دمشق في فترة 2008 –2011 باتوا يعلنون العداء تجاه سوريا بعد عام 2011 من أجل إسقاط الدولة السورية برموزها ومؤسساتها، وأنهم لم يكونوا جميعاً ليفعلو ذلك لو كان سلوك دمشق مختلفاً تجاه الحرب على العراق 2003

ويرى كاتب الدراسة بعنوان "**العولمة وتغير الأجيال: السياسة الخارجية السورية بين الصراع الاقليمي والشراكة الأوروبية Raymond Hinnebusch** " أن السياسة الخارجية السورية الراهنة في عام 2003 تميزت بعملية تحول كبيرة أسفرت عن اعتماد المزيد من التوجهات الجديدة وتوسيع النطاق والتأكيد على برنامج الوسط في عملية الإصلاح الاقتصادي و التمسك باسترداد الحقوق السورية من إسرائيل إضافة إلى التمسك برفض الاحتلال الأمريكي للعراق والسعي لتحقيق الانفتاح على الاقتصاد العالمي برغم سيطرة واشنطن على النظام الاقتصادي العالمي وان السياسة الخارجية السورية تتأثر بعدة متغيرات (الإرث السياسي، المحددات المتعلقة بالتحولات السياسية والاقتصادية، عملية الإصلاح، سياسة سوريا إزاء إسرائيل، سياسة سوريا إزاء الولايات المتحدة الأمريكية، دور سوريا الشرق أوسطي).

وتتفق الدراسات السابقة على أن الأزمات التي واجهتها المنطقة عموماً وسوريا خصوصاً دفعتها لتغيير سياستها الخارجية تجاه محيطها الإقليمي وتجاه القوى الكبرى وخاصةً تجاه الولايات المتحدة الامريكية من أجل تجاوز العاصفة.

المبحث الاول ماهية السياسة الخارجية السورية

إن السياسة الخارجية السورية هي نتاج تفاعل بين عوامل موضوعية وتاريخية وجغرافية وثقافية وقومية مع وجود تأثير للطابع الشخصي لصانعي القرار في الدولة في التاريخ المعاصر وهذه السياسة لم تكن ثابتة او تتصف بالجمود بالمجمل بل شهدت تغيرات هامة في توجهاتها وخاصةً تجاه القوى الكبرى والإقليمية في المنطقة معتمدةً على الدينامية والبراغماتية مع الحفاظ على المبادئ والثوابت الوطنية وذلك بما يتوافق مع متطلبات العمل السياسي.

المطلب الاول: مبادئ السياسة الخارجية السورية

بعد نهاية الحرب الباردة وتحول النظام الدولي إلى نظام أحادي القطبية، أصبح التغير في السياسة الخارجية ضروري لبعض الدول، وشهد العالم تغيرات جذرية وسريعة في العلاقات بين الدول وخاصةً في منطقة الشرق الأوسط، حيث أثر الهيكل العام للقوة في النظام الدولي على السياسة الخارجية للدول الصغيرة التي تواجه ضغوطات قوية لأن تكون متحالفة مع قوى كبرى في نظام ثنائي القطبية، على عكس النظام أحادي القطبية التي تتجه لأن تكون التحالفات استقلالية، والتغيير في السياسة الخارجية هي مجموعة من التحولات التي تطرأ على السياسة خارجية لدولة ما وتكون ما بين التغيير الطفيف إلى التغيير الجذري والتي تحدث نتيجة لعوامل مرتبطة بالبيئة الدولية والإقليمية و الداخلية في الدولة، وتخضع السياسة الخارجية لأي دولة لجملة من التغيرات على مستوى القرارات والسلوكيات والتعاملات وأولوية استخدامها لأدواتها وأهدافها متأثرةً بعوامل داخلية في الدولة أو عوامل خارجية متعلقة ببنية النظام الدولي وتوزع القوى في هذا النظام ويعرف هولستي هذا التغيير: " بأنه تعديل أو تبديل حاد في أنماط العلاقات لدولة ما ويعتبر المتغير التابع في هذه العملية هو التغيرات في أنماط العلاقات الخارجية الدبلوماسية والثقافية والعسكرية والتجارية وتحديد سياسات جديدة بالنظر إلى دور الوكلاء الخارجيين داخل الدولة، ونية صانع السياسة في إعادة صياغة السياسة الخارجية " (بوشناقة،229،2013)، والشكل رقم (1) (سليم، 438) يوضح لنا أن متغير الخصائص القومية هو السياق الذي يتحدد في إطار أثر خصائص النظام السياسي كما ان النظام السياسي بدوره يؤثر على الخصائص القومية، " والبيئة الموضوعية لا تؤثر مباشرة فى السياسة الخارجية، ولكن تؤثر بشكل غير مباشر من خلال البيئة النفسية لصانع السياسة الخارجية، أي من خلال فهمه لمتغيرات البيئة الموضوعية، فإذا لم يدرك صانع السياسة الخارجية وجود متغير موضوعي معين، فإن ذلك المتغير لن ينتج أثراً في السياسة الخارجية لدولته" (الدبار،2019،6) و شهدت سورية خلال العقود الماضية أحداثاً مهمّة للغاية بدءاً من الانقلابات العسكرية بعد الاستقلال و التصدي لحلف بغداد والتوتر مع جارتها تركيا، الأمر الذي أوصل البلاد إلى خيار الوحدة مع مصر 1958، مروراً بثورة الثامن من آذار 1963 ووصول حزب البعث العربي الاشتراكي الى الحكم في سوريا، وقيام الحركة التصحيحية في العام 1970 بقيادة القائد المؤسّس حافظ الأسد وحرب تشرين التحريرية في العام 1973 وصولاً إلى الحرب في لبنان والغزو الإسرائيلي للبنان، وما ترافق ذلك من الحرب العراقية الإيرانية، كل ذلك دفع بسوريا لإتباع سياسة خارجية مرنة تخضع للتكيف والتغيير وإن السياسة الخارجية السورية تنطلق من عدة مبادئ أهمها:

1. **فكر حزب البعث العربي الاشتراكي:** إن شعار «وحدة، حرية، اشتراكية» هو المبدأ الأساسي في الفكر البعثي. وحدة تعني إنشاء دولة عربية موحدة قوية. حرية لا تعني ديمقراطية ليبرالية، بل بالأحرى التحرر من القمع الاستعماري وحرية التعبير وحرية الفكر، الاشتراكية لم تكن تعني الاشتراكية كما هي محددة في الغرب، بل هي شكل فريد من الاشتراكية العربية. وفقاً للفكر البعثي " في المادة (22) من مبادئه: تستوحي السياسة الخارجية للدولة العربية من المصلحة القومية العربية ومن رسالة العرب الخالدة التي ترمي إلى المساهمة مع الامم الاخرى في إيجاد عالم منسجم حر آمن يسير في سبيل التقدم "
(النظام الداخلي احزب البعث،2018، المادة 22) ويؤكد الحزب على وحدة العرب وحريتهم في تقرير شؤونهم
2. **فكر القائد الخالد حافظ الأسد:** كانت سياسته تقيس بدقة موازين القوى وتعرف الخطوط الحمراء في تعاملها مع الدول الكبرى وتقوم على التعاون مع الدول العربية، لقد كان القائد الاستثنائي الذي لا يتنازل وبشهادة زعماء العالم الأعداء منهم قبل الأصدقاء واختصر الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون بعد زيارته إلى دمشق كل ما قيل عن حافظ الأسد " حين قال: هذه

هي المرة الأولى في حياتي التي أحسّ أنني وضعت يدي بيد رئيس، لقد أحسست بشعور لا يوصف عندما سلّمت عليه، وعندما نظرت إلى وجهه، رأيت التاريخ كله، والعنفوان كله في تلك اللحظات بالذات، حمدت الله على أنه ليس رئيساً لدولة كبيرة، لأنه عند ذلك كان ليحكم العالم دون منازع "(اليوسف،2021) وكذلك قال هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق، لقد هزمني حافظ الأسد، إشارةً منه إلى المفاوضات التي قام بها كيسنجر مع الأسد بعد حرب تشرين 1973، وقال عنه الرئيس الكوبي فيدل كاسترو: لم يستسلم الرئيس الأسد طيلة حياته، وقد عرف كيف يرقى بقضيته إلى قمة المجد، وكيف يبني لسورية مجدها، فهو واحد من أكثر الرجال شجاعة في العالم، ولقد فاق الأسد الجميع في الثبات والكبرياء والكرامة، الرئيس حافظ الأسد هو القدوة الحقيقية والتاريخية، وهو الوحيد المتمتع بالأفكار الصائبة، والرؤى المستقبلية حول عملية السلام (جريدة البعث، 2021)، يعدّ حافظ الأسد مدرسة قائمة بذاتها في الأخلاق والترفع عن الصغائر ومحبة الناس والقيادة الحكيمة والإحاطة العلمية، والمعرفة الموسوعية، ويعتبر بجدارة أحد أفذاذ معلمي الاستراتيجية وصانعيها في القرن العشرين

3. دور العامل الشخصي للرئيس بشار الأسد: يعتبر العامل الشخصي هو أحد أهم وأبرز العوامل التي تؤثر في عملية صنع السياسة الخارجية و الدور الذي يمارسه القائد في النظام السياسي باعتباره رأس النظام السياسي ويمتلك السلطة السياسية ويرسم السياسة العامة للدولة وتوجهاتها، عبر الصلاحيات المخولة له والمقرّة له في الدستور، والمكانة السياسية الذي يتمتع بها بين أفراد المجتمع، وجاء في كتاب النعيمي عن نظريات القيادة لتحليل وتفسير سيكولوجيا القيادة ومنها نظرية الرجل العظيم (Great man theory) والتي تقول: " إن الرجال العظام يبرزون في المجتمع لما يتسمون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص عبقرية غير عادية تجعل منهم قادة، وأن دول العالم الثالث تحتاج للقيادة الكاريزمية أكثر من دول الغرب " (النعيمي،183،2011)، و بعد تولي الرئيس بشار الأسد السلطة في سوريا عام 2000 شهدت المنطقة والعالم العديد من الأزمات والتغيرات والتي أكسبت الرئيس الأسد خبرة وتجربة وقدرة على مواجهة الضغوطات والاستجابة للأزمات، برزت من خلالها تعاطيه معها شخصيته الكاريزمية ومن خلال لقاءاته الإعلامية و أمتلك رؤية للإصلاح السياسي والإداري ورؤية فكرية عميقة من منظور استراتيجي وجغرافي سياسي واتسمت سياسته بالشفافية وبالحزم عندما يتعلق الامر بمصالح سوريا ومكافحة الإرهاب وبالمرونة في التعاطي مع المبادرات الخاصة بها " ويتفق الكثير من الباحثين العرب والأجانب على حقيقة أن الرئيس الأسد يمزج في حالة شبه استثنائية بين المتابعة العميقة والقراءة المنهجية الواسعة لأخر أدبيات الفكر السياسي المعاصر "(الجراد،401،2020)، يمتلك بشار الأسد شخصية حركت العالم أجمع " أنه القائد العظيم حامي البلاد كالنجم الثاقب يلمع على صدر كل مواطن سوري بل وعلى صدر كل مواطن عربي حر يأبى المهان لقد صان العهود وقلب الموازين ودحر الإرهاب وحقق الانتصار كمثله تكون وتصنع الرجال ومن خلال قيادته الحكيمة حقق الأمان وغير وجه العالم وأسقط من حوله الأقنعة المزيفة وكشخص استثنائي ظهر وحمل على عاتقه الهم الوطني والقومي منادياً بالمحبة والسلام فبقي الشعلة والمنارة الوحيدة المقاومة بين العربان، أنه رجل الصمود الذي لم يساوم أو يفرط بحبة تراب بفكره الخلاق بنى وطنا وشعبا انفتاحياً في جميع جوانب الحياة كما ودعا للحفاظ على القيم والأخلاق والمبادئ ولاسيما في ظل الوضع الراهن للسوريين فقاد بذلك شعبه نحو بر الأمان رغم تلك الحرب الكونية التي حشد لها أعوان الشيطان " (الرئيس الأسد الشخصية القيادية،2021) واستطاع الرئيس السوري بشار الأسد من بناء تصورات لمركز سوريا وحجمها في النسق الدولي والاقليمي في عصر هيمنة القطب

الواحد وتراجع أدوار الأنساق الإقليمية والفرعية ودور المؤسسات والمنظمات الدولية، معتمداً على المزج بين المرونة والصلابة وتمتعه بحسٍ استراتيجيٍ عالٍ وقدرته على التوفيق بين الوسائل والأهداف في سياسة سوريا الخارجية.

المطلب الثاني: أهداف السياسة الخارجية السورية

يقصد بأهداف السياسة الخارجية: " هو أتجاه العلاقة التي يرسمها الهدف في التعامل مع الوحدات الدولية الأخرى، وتتبع أهمية تحديد أهداف السياسة الخارجية في أنها تحدد احتمال قوة ارتباط الوحدة الدولية بالهدف ومجالات الصراع المحتملة للسياسة الخارجية "(سليم، 1998، 43)، وأن السياسية السورية الخارجية كما وصفها الدكتور بشار الجعفري في كتابه (السياسة الخارجية السورية) تقوم اليوم على حرمة القانون الدولي، وقدسية المبادئ، ومصونية المرجعيات، وعلى التصدي للاستعمار والعدوان والاحتلال حيثما كانوا، مع إشارته إلى أن السمة البارزة في السياسة الخارجية السورية تكمن في عدم المهادنة مع المظاهر السلبية في العلاقات الدولية، وهي سمة كلفتها الكثير، ولكنها من ثوابت العمل الوطني والقومي والدولي دبلوماسياً وسياسياً.

تميزت السياسة الخارجية السورية في عهد الرئيس بشار الأسد بعدة سمات أهمها:

1 – التأكيد على الثوابت الوطنية (المصلحة القومية هي المصلحة العليا – تحرير الجولان)

2 – العقلانية والهدوء والابتعاد عن الانفعال وردود الافعال

3 – الانفتاح وتطوير العلاقات مع دول العالم

4 – رفض منطق استخدام القوة في العلاقات الدولية

السياسة الخارجية السورية بعد عام 2000 لها عدة اهداف:

1 – الخروج من سياسة العزلة

2 – تطوير علاقات سوريا مع جيرانها (تركيا – إيران)

3 – توسيع اتصالاتها مع الدول الآسيوية والأفريقية ودول أمريكا اللاتينية التي تقع خارج لعبة الضغوطات الامريكية

4 – السعي نحو استمرار التقارب مع الدول العربية وظلت القضية الفلسطينية منذ النكبة حتى اليوم هي نقطة المركز للسياسة الخارجية السورية، والتي لم يؤثر في أولويتها المتغيرات والإقليمية والدولية، ولا الضغوطات والتحديات الخارجية، وهذه السياسة فتحت المجال أمام العمل العربي المشترك أمام سوريا، ويجب أن نذكر الدور النشط الذي تلعبه وزارة الخارجية في سوريا ممثلة بالسيد وزير الخارجية وكذلك مندوبي سوريا لدى المنظمات الدولية والإقليمية، في شرح السياسة السورية وتحقيق أهدافها، وتكذيب الادعاءات الغربية خاصةً بعد الأزمة السورية 2011 والدور الإعلامي التضليلي الغربي والعربي الذي لعب دوراً هاماً في الأزمة ونذكر السيد الدكتور بشار الجعفري المندوب الدائم لسوريا في الأمم المتحدة، نذكر منها على سبيل المثال، في عام 2016 عندما أجرت الجمعية العامة للأمم المتحدة تصويت لصالح قرار يدعو إلى وقف إطلاق النار في سوريا وخاصة في حلب، وقدم مشروع القرار المندوب الكندي، كان الرد السوري على لسان الجعفري " أجد نفسي مضطراً لتذكير الدول الأعضاء بأن حكومة الوفد الكندي التي تدعي حرصها على مصلحة الشعب السوري قد شاركت ومنذ اليوم الأول فيما يسمى بالتحالف الدولي ضد "داعش"، هذا التحالف الخارج عن الشرعية الدولية والذي ينتهك بشكل يومي السيادة السورية، ويدمر بشكل ممنهج البنى التحتية السورية من جسور ومحطات كهرباء ومياه وصوامع الحبوب التي بناها الشعب السوري بجهده وماله وطاقات أبنائه على مدى عقود طويلة حتى جاءت الطائرات الكندية والأمريكية والفرنسية والبريطانية والدنماركية فسوتها بالأرض بدلاً من استهداف قواعد وخطوط إمداد

وقيادات "داعش" في سوريا والعراق." (الأمم المتحدة، 2016)، وكذلك رده على المندوب الإسرائيلي، في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورته /66/ الجلسة العامة /96/ في 2012/2/13 وقال أنه من المهم جداً أن نسمع من ممثل كيان دأب على ارتكاب المذابح الجماعية في فلسطين، وإن لغة ممثل إسرائيل تقاطعت تماماً وتشابهت مع لغة دول مجلس التعاون الخليجي، مؤكداً على اشتراكهم جميعاً في استهداف الشعب السوري وحكومته.

المطلب الثالث: محددات السياسة الخارجية السورية

إن السياسة الخارجية لأي دولة ماهي إلا تعبير عن إرادتها وقيادتها السياسية وتخضع بالمجمل لمجموعة من العوامل والمتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة في سلوكها السياسي تجاه محيطها الإقليمي والدولي، حيث يتطلب من صانع القرار فهماً دقيقاً لمختلف هذه العوامل والمحددات المؤثرة بشكل مباشر أو غير مباشر في صنع هذه السياسة، وسوف نستعرض محددات السياسة الخارجية السورية الداخلية أي التي تقع داخل إطار الدولة والمرتبطة بتكوينها البنيوي والذاتي:

أولاً الموقع الجغرافي: هناك علاقة وثيقة بين المتغير الجغرافي وسياسة الدولة، حيث أن موقع الدولة يفرض عليها اتخاذ سياسات خارجية معينة تتسم بالثبات نسبياً بسبب الثبات النسبي لموقعها الجغرافي، وتعتبر الخصائص الجيوسياسية لسورية وموقعها ومركزيتها في الصراع العربي الإسرائيلي وكذلك محاذاتها للعراق وتركيا وقربها الجغرافي من إيران، عاملاً مهماً في توجهات سياستها الخارجية لجهة بناء تحالفات سياسية معينة، وكانت سياستها الخارجية تجاه بيئتها الإقليمية والدولية هي نتاج عوامل موضوعية متعلقة بأوضاعها الجغرافية والثقافية والتاريخية وذلك دون استبعاد تأثير الطابع الشخصي لقادتها في صوغ سياستها الخارجية، وتتمتع سوريا بموقع استراتيجي هام يقع في قلب منطقة الشرق الأوسط ومطلة على البحر الابيض المتوسط ومركز للمواصلات بين أوربا والشرق، وتتحكم بمرور أنابيب النفط في أراضيها، وقربها الجغرافي من " إسرائيل" " وفي المحصلة النهائية هذه المتغيرات الجيوبوليتيكية جعلت من سوريا بلداً ذا منفعة حيوية بالنسبة للدول المعنية بالمنطقة، كما جعلت منها نقطة استقطاب مهمة لصالح هذه الدول اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً " (الشاهر، 105،2011).

ثانياً:البعد الثقافي والأيدلوجي: أي الصفات القومية التي يشترك بها جميع السكان والتي تميزهم عن الشعوب الأخرى والثقافة السياسية الوطنية، ويعتبر محدداً هاماً كمحدد داخلي في السياسة الخارجية، وتعتبر دمشق عاصمة الخلافة الاموية التي أسسها معاوية بن أبي سفيان 661، وظهر الفكر القومي العربي بعد الاحتلال العثماني لبلاد الشام على يدر المثقفين والوطنيين السوريين منهم ناصيف اليازجي وأبنه إبراهيم، وبطرس البستاني وغيرهم، وكذلك مقاومة السوريين للاحتلال الفرنسي، كلها جعلت من الشعب السوري شعباً مفعماً بالقومية العربية والوطنية، والتي أكد عليها حزب البعث العربي الاشتراكي في مبادئه، ولديه خصائص قومية تجاه عروبته " ويقصد بالخصائص القومية كل الأبعاد الكامنة في كيان الوحدة الدولية ذاتها كوحدة كلية شاملة والتي تتسم بصفة الاستقرار النسبي" (سليم،147،1998) و تشمل هذه الخصائص الأساس القومي الذي جعل من القضية الفلسطينية قضية العرب المركزية بالنسبة للسياسة الخارجية السورية و ما يترتب على ذلك من السعي الدائم لتحقيق التضامن العربي و ربط المصلحة الوطنية بالمصلحة القومية

ثالثاً: البعد الأمني والعسكري: ويعتبر هذا المحدد مؤشراً لقياس قوة الدولة وأداة فعالة تستطيع من خلالها تحقيق أهداف سياستها الخارجية، بعد مجيء الرئيس حافظ الأسد إلى السلطة في سوريا 1970، تمكن من الحفاظ على استقرار الحكم بعد سنوات طويلة من الصراعات والانقلابات المتتالية، وتلاشى الخلاف بين المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية من حيث كونهما مؤسستين

متنافستين على السلطة ومختلفتين أيديولوجياً وطبقياً، كما كان الوضع بعد الاستقلال، والجيش السوري جيش عقائدي ولعب دوراً هاماً تجاه القضايا العربية منذ حرب 1948 وحرب 1967، وحرب تشرين التحريرية 1973، ووقف إلى جانب الكويت عندما أقدم صدام حسين على دخولها 1991، ووقف إلى جانب لبنان ضد الغزو الإسرائيلي 1982، ووقف مع العراق ضد الاحتلال الأمريكي 2003، إضافةً إلى دوره في دعم المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي " ألتصق الجيش العربي السوري منذ تأسيسه بالمحطات والأحداث السياسية والتطورات في سورية والمنطقة وعلى امتداد الأمة العربية، فكان الحاضر الدائم في كل تلك المحطات، والفاعل الأهم في أحداثها وبيضة القبان التي كانت تحسم الخيارات دائماً بما يخدم القضايا الوطنية والقومية، وخاض عشرات المعارك والحروب تحت عناوين قومية ووطنية مجسداً وحدة المصير بين سورية والأمة العربية" (في الذكرى 28، 2023)

رابعاً البعد الاقتصادي: ويؤثر النظام الاقتصادي في عملية اتخاذ القرار من عدة جوانب،" فالدولة التي تتمتع بنظام اقتصادي قوي، وتمتلك ثروات طبيعية وطاقات إنتاجية ضخمة نسبيا، تكون لديها حرية أكبر عند اختيارها البدائل المطروحة أمامها، كما وإن قدرتها الاقتصادية هذه تساعدها على تحقيق أهدافها التي تسعى إليها من وراء هذه القرارات" (الكفارنة، 2009، 22) ومدى قدرة النظام على استثمار هذه الموارد والإمكانيات وتوظيفها بشكل صحيح، لخدمة السياسة الخارجية للدولة، وعلى الدولة ربط القرار السياسي بشكل مرن بالقرار الاقتصادي لتتمكن من تحقيق مكاسب سياسية إلى جانب المكاسب الاقتصادية. والاقتصاد السوري يعتبر من أكثر اقتصاديات الدول النامية تنوعاً، وعانى الاقتصاد السوري بعد عام 2011 " وفي عام 2011 بلغت نسبة نمو الناتج المحلي الإجمالي 2.9% بعد أن كانت 5.2% في عام 2010 ومع استمرار حدة الأزمة تفاقم الانكماش في الناتج المحلي الإجمالي ليصبح في عام 2016بمعدل (-5.65%) " (كيكي وأخرون،13،2024) بسبب الأثار المدمرة للحرب على البنية التحتية للاقتصاد و العقوبات التي فرضت عليه والحصار الاقتصادي بدءاً من حرب العراق وحتى الأزمة السورية مما شكل عائقاً أمام الاندماج بالاقتصاد العالمي، مما دفع الحكومة للبحث عن بدائل تساعدها في دعم اقتصادها مثل تأجير ميناء طرطوس البحري لروسيا، وأشار وزير النقل السوري علي حمود إلى جملة من المزايا ينطوي عليها العقد " وفي مقدمتها تحقيق أرباح كبيرة تشكل نسبة 25% من الإيرادات بغض النظر عن النفقات، وتزداد النسبة مع زيادة الانتاج لتصل إلى 35% مبينا أنه من المزايا أيضا ضخ مبلغ 50 مليون دولار لتطوير المرفأ الحالي وإنشاء مرفأ جديد إلى جانبه بطاقة انتاجية 40 مليون طن بدلا من 12 مليون طن و5.2 ملايين حاوية بدلا من 400 ألف حاوية حاليا " (وزير النقل، 2019)، وشكل المحدد الاقتصادي عاملاً هاماً في تبني سورية سياسة خارجية أكثر مرونةً.

خامساً: المحددات الدولية والإقليمية: يعتبر المحدد الدولي والإقليمي من أهم محددات السياسة الخارجية للدول من حيث توزيع القوى ضمن نسق دولي يتسم باستقطاب حاد يصعب على دولة ما تبني سياسة العزلة،" فإذا كان النظام الدولي يقوم على أساس تكتلات ومحاور سياسية وعسكرية، فان ذلك يدفع واضعي السياسة في الدول الصغرى إلى الدخول في بعض التحالفات لحماية أمنهم القومي، بغض النظر عن ما قد ينطوي عليه من تعارض مع توجهاتهم السياسية العامة أو الخروج عن بعض المبادئ العامة في السياسات التقليدية لهذه الدول" (ناصيف، 1985) كما أن هذه التكتلات تساعد الدول الكبرى المنشئة لها في تنفيذ سياساتها الخارجية وفرضها على أرض الواقع وإرغام الدول الأخرى على تقبلها، وكذلك الجانب الحركي والتفاعلي للنظام الدولي وفقاً لمبدأ المعاملة بالمثل ومبدأ الفعل ورد الفعل والذي ينشأ عنه طابعاً صراعياً أو تعاونياً ما بين الدول، ويشهد العالمُ تأثيراً متبادلاً بين العلاقات الدوليَّة والارتباطات الإقليميَّة، فلقد أصبح التأثير المتبادل بينهما واضحاً، وفي منطقة الشرق الأوسط تسيطر حالة من

الاستقطاب تجعل التحالفات غير واضحة، وتجعل من الصعب القدرة على التنبؤ بما هو قادم في منطقة تعتبر ساحةً للصراعات والتدخلات من جانب أطراف متعددة دولية وإقليمية، وشكلت الأزمة السورية بعد عام 2011 مدخلاً هاماً لإعادة رسم التحالفات في المنطقة، حيثُ تمتَّعتْ السياسة الخارجية السورية بفاعلية ونشاط وقدرة على التغير والاستجابة لمواجهة هذه الأزمة ومنذ بداية الأزمة السورية أصبحت سورية أحد بؤر التنافس والتوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وإحدى ساحات الصراع بين الطرفين في نوعٍ جديد من الحرب الباردة، وإن التطورات الجديدة التي طرأت على النظام الدولي وظهور عدد من المنافسين العالميين كالهند واليابان وعودة بعض القوى الكبرى مثل روسيا والصين كدول متحدية للهيمنة الأمريكية سوف يؤدي إلى تحول النظام الدولي إلى نظام متعدد الأقطاب وتطغى عليه طابع التحالفات بدلاً من التكتلات ويطلق البعض على هذه المرحلة مرحلة الاستقطاب polarization وترى سورية أنها أمام فرصة تغيير النظام العالمي الذي أصبح متعدد الأقطاب والذي يمنحها حرية الحركة أكثر من نظام الثنائية القطبية، وقدرة أكبر لصانع السياسة الخارجية السورية لإعادة ترتيب وصياغة سياسة سورية الخارجية بأقل قدرٍ من التدخل الغربي.

المبحث الثاني: السياسة الخارجية السورية تجاه القوى العظمى

إن النظام الدولي متعدد الاقطاب أو ذو الثنائية القطبية يمنح الدول المتوسطة والصغيرة قدرة أكبر على الحركة المستقلة وعلى العكس في نظام الاحادية القطبية الذي يحد من قدرة الدولة على الحركة المستقلة، وهذا ما حدث بالنسبة لسورية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي 1991، وتحول النظام الدولي إلى نظام أحادي القطبية، وقد أدركت السياسة الخارجية السورية هذا التحول وعدم قدرتها على التحرك بحرية، فعمدت على التغيير في سياستها الخارجية تجاه القوى العظمى (الولايات المتحدة الامريكية، روسيا، الصين) ولكن ذلك لم يمنعها من لعب دور فاعل على المستوى الإقليمي.

المطلب الأول: السياسة الخارجية السورية تجاه الولايات المتحدة الامريكية

أولاً: تاريخ العلاقات السوية – الأمريكية: تعتبر العلاقة بين سوريا وأمريكا ليست بالجيدة بسبب الدعم المستمر للأمريكيين لإسرائيل ففي عام 1956 تم اقتحام السفارة الامريكية في دمشق اعتراضاً على دعم الكيان الصهيوني وفي عام 1979 تم إيقاف العلاقات بين البلدين بسبب دعم سوريا للثورة الإيرانية، وكانت لسورية أهمية كبيرة بالنسبة لأمريكا وخاصة بعد حرب تشرين حيث أوفدت وزير خارجيتها هينري كيسنجر في أيار عام 1974 والذي ذار دمشق عدة مرات " وقبل توجه كيسنجر لعقد اللقاء الحادي عشر مع الرئيس حافظ الاسد في أقل من أربع أسابيع، قال أن الأسد رغم حدة ذكائه يفاوض بعنادٍ شديد حول كل نقطة كما لو أنه يسجل كل شيء للتاريخ "(شعبان،157،2017) وقال في مذكراته أن الأسد رجل متأنٍ يحسب الأمور بدقة، وفي نفس العام زار الرئيس الأمريكي نيكسون سوريا ليكون أول رئيس أمريكي يزور دمشق، لفتح صفحة جديدة في العلاقات الامريكية السورية، وكانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه سوريا بعد تسلم الرئيس بشار الأسد السلطة في سوريا عام 2000 تتسم بطابع التغير فتارةً كانت متوترةً وتارةً أخرى اعتمدت على التهدئة.

ثانياً: المرونة في السياسة الخارجية السورية تجاه الضغوطات الأمريكية: وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 تغير الوضع الدولي والإقليمي بالنسبة لسوريا وخاصة أن أمريكا أطلقت تصنيف محور الشر على إيران الحليف الاستراتيجي لسوريا إلى جانب العراق وكوريا الشمالية مما دفع سوريا إلى إبداء نوع من المرونة في سياستها تجاه الولايات المتحدة الامريكية وأبدت تعاوناً محدوداً مع أمريكا في الحرب على الإرهاب، حيث حذرت المخابرات السورية أمريكا من خطة لتنظيم القاعدة لتفجير مقر الأسطول الخامس

للبحرية الامريكية في البحرين، وكان هناك تعاوناً في برنامج التسليم الاستثنائي الذي أنشأ في منتصف التسعينيات ووسع في القرن الحادي والعشرين وهو نقل المعتقلين دون إجراءات قانونية إلى معتقلات حكومة أجنبية لأغراض الاحتجاز والاستجواب، وسعى الرئيس الأسد إلى بذل جهدٍ كبيرٍ لضمان عدم وجود أي شكوك لدى أمريكا بتورط سورية في أحداث 11 أيلول، وكان هناك تعاوناً استخباراتيا بين الطرفين " حتى أن الرئيس الأسد قدم عرضاً لمساعدة الولايات المتحدة في تحقيقاتها، وبالفعل وصل عملاء مكتب التحقيق الفيدرالي الأمريكي (FBI) إلى سوريا اوائل عام 2002 للتحقيق مع عناصر للقاعدة الموجودين في سوريا، وأتصل الرئيس بوش بالرئيس الأسد ليشكره، وقال: إن المعلومات التي زودتنا بها دمشق ساعدت في منع هجمات على أهداف أمريكية "(الشاهر،2011، 546)، وتعتبر هذه الخطوة نوع من التكيف في السياسة الخارجية السورية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ومع الوضع الراهن في المنطقة وبعد حرب العراق 2003 والموقف السوري الرافض لهذه الحرب في عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش واتهام أمريكا لسوريا بدعم المقاتلين ضدها في العراق، وهذه الحرب جعلت من الولايات المتحدة الأمريكية تصبح بفضل وجود قواتها في العراق الجارة الشرقية لسورية والتي طالما اختلفت معها وأدانتها وهذا ماوضع تحدياً امام سورية في كيفية التعامل مع الجارة الجديدة، وفي حزيران 2003 نفذت القوات الامريكية عملية على الحدود السورية العراقية أدت إلى جرح خمسة جنود أمريكيين، ولم تعلن سوريا احتجاجاً رسمياً على الحادثة إلا بعد أسبوع، وكان موقف وزير الخارجية السورية حينها فاروق الشرع عند سؤاله في مؤتمر صحفي بعد الحادثة " قال عدم التطرق إلى الأمر أفضل، لأننا نتبع دبلوماسية هادئة عبر القنوات في السفارتين واشنطن ودمشق "(الشاهر،2011،445)، حيث اعتبر هذا التصريح دليل واضح على التحول والتغيير في السياسة الخارجية السورية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية.

<u>ثالثاً</u>: توتر العلاقات السورية – الأمريكية بعد عام 2005: توترت العلاقة بين البلدين ووصلت إلى حد القطيعة بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري عام 2005 وتم استدعاء السفير السوري في واشنطن، وكانت السياسة السورية حينها تهدف إلى الخروج من حالة العزلة الدولية وتجاوز العاصفة وعدم تقديم التنازلات لأمريكا والتعامل مع المطالب الأمريكية من مبدأ خطوة بخطوة وفي عام 2007 وجه بوش تحذيراً لدمشق لدعمها اللبنانيين في حرب 2006 مع إسرائيل وقال " أن صبره بدأ ينفذ إزاء تدخل سوريا في السياسة اللبنانية، فالتصريح تضمن تهديداً مبطناً شبيهاً بالذي أطلقه بوش قبيل اجتياحه العراق، ولكنه لم يكن ذا مصداقية مطلقاً وتجاهلته سوريا وسائر الدول " (أوتاواي وأخرون، 2009، 41)، وسعت سوريا إلى التقارب مع الدول الأوربية من خلال الزيارة التي قام بها الرئيس الأسد إلى باريس في عام 2008 لحضور قمة البحر الأبيض المتوسط وبعد تلك الزيارة تم تطوير العلاقة بين سوريا وفرنسا، ولكن بعد مجيء أوباما إلى السلطة عام 2009 انتهج سياسة متقاربة مع دمشق توجت بزيارة معاون وزير الخارجية الأمريكي للشؤون السياسية إلى دمشق (ويليام بيرنز) وتسمية روبرت فورد سفيراً جديداً لدى دمشق " كثفت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون الجهود الأميركية لاستمالة سوريا إلى دعم استراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وعقدت أول اجتماع مباشر لها مع نظيرها السوري في محاولة لإيجاد أرضية مشتركة بشأن إيران ولبنان والنزاع العربي الإسرائيلي" (Solomon، 2010) لكن وزير الخارجية السوري وليد المعلم أعرب عن شكوكه في احتمالات استئناف المحادثات مع إسرائيل و في عام 2010طلبت أمريكا عبر وزير خارجيتها هيلاري كلينتون من سوريا الابتعاد عن إيران فكان الرد السوري عبر قمة جمعت الرئيس السوري والرئيس الإيراني في نفس العام وقال الرئيس السوري " نحن ألتقينا اليوم لنوقع اتفاقية ابتعاد بين سورية وإيران ولكن

ربما بسبب خطأ في الترجمة أو محدودية الفهم وقعنا اتفاقية إلغاء التأشيرات ولا نعرف إن كان هذا يتوافق مع ذاك لكن أنا أستغرب كيف يتحدثون عن الاستقرار في الشرق الأوسط والسلام وكل المبادئ الأخرى الجميلة ويدعون للابتعاد بين دولتين أي دولتين..
أن لا أتحدث عن سورية وإيران بغض النظر عن العلاقة الاستراتيجية بينهما وعن الإيمان بالمبادئ المشتركة"
(الأسد ونجاد،2010)

رابعاً: العلاقات بعد عام 2011: بعد الأزمة السورية 2011 والتدخل الغربي والامريكي الواضح في الأزمة من خلال دعم المجموعات الإرهابية ضد الدولة السورية، توترت العلاقات بين الغرب وسوريا وتم طرد عدد من الدبلوماسيين السوريين في عدة دول منها: فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا وكندا وبلغاريا وهولندا وبلجيكا والولايات المتحدة، وردت سوريا على تلك الخطوة انطلاقاً من مبدأ المعاملة بالمثل" وقالت سوريا إنها تعتبر دبلوماسي 12 دولة غربية معظمهم أميركيون وأوروبيون "أشخاصا غير مرغوب بهم"، ردا على حالات الطرد الجماعي للمبعوثين السوريين من العواصم الغربية "(سوريا تطرد،2012) ورغم ذلك كان هناك إجماع لدى الأمريكيين أن سياسة اوباما تتنسق مع منهج المعتدلين مثل جيمس بيكر وهنري كيسنجر وأنه يفهم جيداً حدود الدور الأمريكي وكانت سياسته في المنطقة تهدف على الحفاظ على الوضع القائم مع بعض الإصلاحات القليلة، وتعرض للانتقاد بسبب سياسته تجاه سوريا من قبل (مت رومين) المرشح الجمهوري المنافس له في الانتخابات الرئاسية 2012 بأنه لم يتخذ خطوات أكثر جدّية للإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد وأنه غير مهتم باستخدام القوة العسكرية هناك، ورد أوباما على ذلك " وقال المتحدث باسم حملة أوباما، بن لابولت، إن رومني لم يقدم شيئا سوى الكلام القاسي، والالتزام بالحروب التي لا نهاية لها في العراق وأفغانستان، وأجندة السياسة الخارجية بلا دفة "(Landler،2012) وبعد مجيء ترامب للسلطة خلفاً لأوباما كانت سياسته تعتمد على الانسحاب من منطقة الشرق الأوسط والغياب عن المشهد السوري مقابل قبول بالدور الروسي في الأزمة السورية، واعتمد في سياسته على مبدأ العزلة في السياسة الخارجية ويرى أنه لا داعي أن تقوم أمريكا بتنظيم شؤون العالم وحل مشاكله وتبنى استراتيجية (أمريكا اولاً) وفرض السلام بالقوة " ولطالما قال ترامب إنه يريد إنهاء وجود القوات الأمريكية في الشرق الأوسط حاول أن يأمر بانسحاب القوات الأمريكية من سوريا في ديسمبر 2018، لكنه اضطر بدلا من ذلك إلى تقليل عددها بعد معارضة شرسة من البنتاغون "(Sevastopulo ،2019) كان سياسته تعتمد على تجنب التورط في سوريا وتسليمها إلى دول إقليمية وروسيا واستمراره في دعم الأكراد في الشمال مما يساعد على جلب الحكومة السورية إلى طاولة المفاوضات وإيجاد تسوية مجدية، وكانت رؤيته تجاه سوريا تقوم على مبدأ وجود رجال أقوياء في المنطقة أفضل من حالة الفوضى، وتركز اهتمامه على القضاء على النفوذ الإيراني في سوريا وضمان أمن إسرائيل والحفاظ على مصادر وإمدادات الطاقة، أما السياسة الأمريكية في عهد الرئيس جون بايدن تجاه سوريا فقد اتسمت بأنها غير متسقة ومتناقضة " فمن المرجح على نحو كبير أن سياسة بايدن تجاه سوريا ستكون استمراراً لسياسة أوباما، أي الحفاظ على وجود عسكري محدود للغاية في شمال سوريا للضغط على تركيا بشأن أكراد سوريا ومحاربة تنظيم داعش، بالتوازي مع استمرار عقوبات قانون قيصر التي دون فعالية حقيقية"(هل يتبنى جوبايدن،2020) ويعتبر ترامب أن الأولوية الرئيسة لسياسته تجاه منطقة الشرق الأوسط تتمثل في التوصل إلى اتفاق مع إيران " وهذا لا يعني أن سوريا لم تعد أولوية للأميركيين، لكن سياسة الإدارة الجديدة لم تعد مرتبطة بطموحات إقليمية أوسع، مثل جهود ترمب لإسقاط النظام الإيراني عبر فرض عقوبات أو معارضة تغيير حلفاء الولايات المتحدة من الدول العربية سياستهم بالتواصل مع دمشق "(الشامي،2021) وقد

عارضت الولايات المتحدة الامريكية التقارب العربي مع سوريا الذي حصل مؤخراً وذلك لإبقاء المنطقة في دوامة الصراعات والخلافات الإقليمية بهدف تقسيمها بما يضمن أمن إسرائيل، وعدم السماح لسوريا بلعب دورفاعل في المنطقة.

المطلب الثاني:السياسة الخارجية السورية تجاه روسيا الاتحادية

أولاً: تاريخ العلاقات السورية – الروسية: يمكن وصف العلاقة بين سوريا وروسيا الاتحادية بالقوية وهذه العلاقة ليست حديثة العهد بل تعود إلى حقبة الاتحاد السوفييتي الذي كان أول من اعترف باستقلال سوريا وأقام علاقات دبلوماسية معها عام 1944، ووصل التعاون بين الطرفين إلى مستوى التحالف الاستراتيجي، وقد دعم الاتحاد السوفييتي سوريا بالسلاح وساندها في حروبها مع إسرائيل وخاصة حرب تشرين 1973، ولكن هذا الدعم توقف في فترة التسعينيات في عهدي الرئيسين غورباتشوف ويلتسن، وبعد مجيء الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة في روسيا وسعيه إلى استعادة مكانة روسيا في النظام الدولي ومناطق نفوذها التقليدية وتعزيز حضورها في منطقة الشرق الأوسط، حيث تعتبر سوريا ذات أهمية جيوسياسية لروسيا كونها توفر منفذاً لروسيا على البحر المتوسط، رافقه وصول الرئيس بشار الأسد الى السلطة في سوريا وسعى كل من الرئيسين إلى بناء منظومة جديدة تقوم على التوازن وكسر احتكار القطب الواحد " وأكدت روسيا مراراً أن دعمها لسوريا لا ينطلق من اعتبارات شخصية ومصلحية بل تستند دوماً إلى مصلحة الشعبين الروسي والسوري ومبدأ احترام سيادة الدول " (أحمد، 2014) وزار الرئيس بشار الأسد روسيا عدة مرات في عام 2005 وعام 2006 وفي عام 2008 وفي عام 2010 وكان اخرها في أذار عام 2023 لدفع العلاقات بين البلدين باتجاه الأمام والتنسيق بشأن القضايا الإقليمية والدولية، وفي عام 2008 بعد الأزمة الروسية الجورجية التي انتهت باستقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، واعترفت سوريا بهما وأقامت علاقات دبلوماسية مع البلدين على مستوى السفراء.

ثانياً: العلاقات بعد عام 2011: بعد الأزمة السورية عام 2011 ومحاولة الغرب وأمريكا بشتى الوسائل لإسقاط الدولة السورية ورأت روسيا أن في ذلك خسارة حليف مهم لها لصالح الولايات المتحدة الامريكية، فكان تدخلها في سوريا بناءً على طلب الحكومة السورية للمساعدة على القضاء على الإرهاب " أعطى مجلس الاتحاد الموافقة لرئيس روسيا لاستخدام القوات المسلحة في سوريا، وصرح سيرجي إيفانوف أن المجلس وافق ب 162 صوت لصالح القرار وان روسيا سوف تستخدم الطيران فقط بناءً على طلب الرئيس السوري بشار الأسد ضد تنظيم داعش "(Шарифулин ،2015)، وقد أشار بوتين أن القوات الروسية هي القوات الاجنبية الوحيدة التي تعمل بشكل قانوني في سوريا، وسعت روسيا إلى حل الأزمة السورية بالوسائل الدبلوماسية عن طريق تبنيها مفاوضات بين الحكومة السورية وممثلي المعارضة في العاصمة الكازاخستانية أستانا، وأهم ما يميز السياسية السورية الخارجية أنها قائمة على حرمة القانون الدولي وقدسية المبادئ، ومصونيه المرجعيات، وعلى التصدي للاستعمار والعدوان والاحتلال حيثما كانوا وعدم المهادنة مع المظاهر السلبية في العلاقات الدولية، والسياسة الخارجية السورية يضَعُ السيد الرئيس بشار الأسد خطوطها الدقيقة وتعمل وزارة الخارجية والمغتربين على تنفيذها بالتعاون والتنسيق مع جميع المؤسسات الحكومية والوطنية، وقد عَّبر عنها وزير الخارجية السوري فيصل المقداد قائلاً " هي سياسة منفتحة وواقعية ومرنة ولكن مبدئية، وستبقى قائمة على أولويات السيادة الوطنية والاستقلال وعلى وحدة الأراضي السورية وسلامتها وعلى تحرير كل شبر محتل منها وعلى القضاء التام على المجموعات الإرهابية وإنهاء جميع أشكال حمل السلاح غير الشرعي وعلى رفض مشاريع التقسيم والتفكيك وإضعاف مؤسسات الدولة واستهداف هويتها ومركزها ودورها، وعلى تحقيق الرفاه والاستقرار والأمن المجتمعي والاقتصادي في جميع أنحاء الجمهورية العربية السورية "(المقداد،2022) وبعد الأزمة السورية 2011 أبدت روسيا موقفاً واضحاً من الأزمة مستندةً إلى موقفها الخاص بالنظام العالمي

وضبط استخدام القوة من جانب مجلس الأمن الدولي ورفض تغيير الانظمة من الخارج " أن تداعيات المشروع التخريبي الذي استهدف سورية منذ بداية ما أصطلح على تسميته "الأزمة السورية" قد أثبتت أن سورية مفتاح رئيسي يتحكم بمصير المخططات الغربية في المشرق العربي والإقليمي وبطبيعة الصراع مع "إسرائيل"، لذلك يلاحظ المتابع أن شراسة تلك المخططات الغربية تجاه سورية لا سابق لها ولا مثيل في أي مخططات أخرى رسمت ضد حكومات دول أخرى تناهض سياسات الغرب وتناصبها العداء، وكأنّ المسألة هي تصفية حسابات قديمة جديدة مع دمشق "(الجعفري، 1987،385) وانطلاقاً من الرغبة الروسية في عرقلة المخطط الأمريكي في السيطرة على المنطقة والشراكة الاستراتيجية بين روسيا وسوريا اتخذت روسيا موقفاً مسانداً لسوريا في مجلس الأمن" واستخدمت روسيا حق الفيتو 12 مرة بشأن سوريا منذ بدء الأزمة عام 2011" (هل تستخدم،2018) وكذلك في عام 2023 ضد مشروع قرار سويسرا والبرازيل في مجلس الأمن الدولي، بشأن تمديد إيصال المساعدات إلى سوريا عبر تركيا لمدة 9 أشهر وفي عام 2022 وحدوث الأزمة الأوكرانية كان موقف سوريا مؤيداً لروسيا، ففي أذار 2022 تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يطالب روسيا بالتوقف فوراً عن استخدام القوة في أوكرانيا، وصوتت سوريا ضد القرار وكانت الدولة العربية الوحيدة التي رفضت القرار، في حين امتنعت كل من العراق والجزائر والسودان عن التصويت " وقال بوتين خلال تقبله أوراق اعتماد 17 سفيراً من بينهم سفير سورية الدكتور بشار الجعفري، سورية صديق مقرب من روسيا وشريك موثوق وحليف لنا في العالم العربي وعلى الساحة الدولية، وعلاقات الصداقة والتعاون والاحترام المتبادل بين البلدين تؤكدها زيارة الرئيس الأسد إلى روسيا والاتفاقيات التي تم التوصل إليها خلالها لتطوير التعاون في المجالات المختلفة"(الرئيس بوتين،2023)، وكان هناك دائماً تنسيق مشترك بين الرئيس الأسد وبوتين حول المواضيع والملفات الإقليمية، تمثلت بالزيارات المتكررة للرئيسين كان آخرها زيارة الرئيس الأسد إلى موسكو في أذار 2023 برفقة وفد وزاري سوري من أجل تطوير التعاون الروسي السوري في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والإنسانية.

المطلب الثالث: السياسة الخارجية السورية تجاه الصين الشعبية

من سمات وميزات السياسة الخارجية السورية هو علاقاتها الجيدة مع القوى العظمى والمنافسة لأمريكا والتي تدعم القضايا العربية العادلة ومنها جمهورية الصين الشعبية الصاعدة بقوة على مسرح الأحداث الدولية.

أولاً: تاريخ العلاقات السورية – الصينية: إن العلاقات السورية الصينية ليست حديثة العهد، بل تعود إلى عمق التاريخ وعمق طريق الحرير، وسوريا من أوائل الدول العربية التي أقامت علاقات دبلوماسية مع الصين، وهي من الدول التي طرحت مشروع استعادة الصين لمقعدها الشرعي في الأمم المتحدة، وفي عام 1956 كانت سوريا ثاني دولة عربية بعد مصر أقامت جمهورية الصين الشعبية معها علاقات دبلوماسية، ففي عام 1957 وصل إلى دمشق اول سفير صيني لدى سوريا، وكانت العلاقة بين البلدين تتسم بالصداقة على مدى سنوات طويلة، وفي حزيران 2004 قام الرئيس السوري بزيارة إلى الصين وأجرى مباحثات مع الرئيس الصيني جينتاو، حيث تعمق الجانبان في تبادل وجهات النظر بشأن العلاقات الثنائية والقضايا ذات الاهتمام المشترك، حتى توصلا إلى توافق واسع " وحضر الرئيسان بعد المباحثات مراسم التوقيع على اتفاقية التعاون للري بين الصين وسوريا ومذكرة التفاهم للتعاون الزراعي بينهما واتفاقية التعاون الاقتصادي واتفاقية التعاون الصحي إلى جانب اتفاقية التعاون السياحي "(مباحثات الرئيس،2004)، وانضمت سوريا في عام 2022 إلى مبادرة الحزام والطريق التي طرحها الرئيس الصيني عام 2013، وكان الموقف السوري تجاه القضية التايوانية واضحاً " وقالت وزارة الخارجية والمغتربين في سوريا في بيان لها، سوريا تدين بأشد العبارات

التصعيد غير المسبوق وسياسة الاستفزاز التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية ضد جمهورية الصين الشعبية وتؤكد أن إعلان بيلوسي نيتها زيارة تايون خلال الجولة التي بدأتها في بعض دول شرقي آسيا هو عمل عدائي لاينسجم والقانون الدولي ولايحترم سيادة واستقلال ووحدة أراضي جمهورية الصين الشعبية "(سوريا لاتعترف،2022) وبعد الحرب على سوريا كان للصين موقفاً داعماً لسوريا وحقها في حماية الاستقلال الوطني والسيادة والوحدة وسلامة الأراضي كما قدمت الصين المساعدة الاقتصادية لسوريا في مناسبات عديدة وصوتت الصين إلى جانب روسيا في مجلس الأمن على قرارات ضد سوريا " وكان مجلس الأمن الدولي قد عقد 28 شباط 2017، جلسة صوت فيها على مشروع قرار متعلق بإنشاء نظام العقوبات ولجنة وفريق من الخبراء لضمان المسائلة عن استخدام وإنتاج الأسلحة الكيميائية في سوريا (كما يدعون)، واستخدمت كل من روسيا والصين حق النقض ضد القرار "(الأمم المتحدة،2017) وفي عام 2020 حصل توتر بين الصين وأمريكا في جلسة لمجلس الأمن حول سوريا بعد جائحة كورونا و قال السفير الصيني لدى المنظمة الدولية إن الصين تدعو الولايات المتحدة إلى التركيز على الجهود العالمية لمكافحة الفيروس والكف عن ممارسة ألعاب سياسية والتركيز على إنقاذ الأرواح وعدم التنصل من مسؤولياتها وتحويلها إلى دول أخرى.

ثانياً: التقارب السوري – الصيني: في أذار 2023 قام الرئيس السوري بشار الأسد بزيارة رسمية إلى الصين من أجل اختراق الحصار الذي فرضته أمريكا على سوريا وفتح قنوات جديدة للتجارة والطاقة وتعتبر الصين ثالث دولة غير عربية يزورها الرئيس الأسد بعد الأزمة السورية 2011، بعد روسيا وإيران، ومن اجل بناء نظام دولي متعدد الأقطاب ورفض الهيمنة الامريكية على العالم وإدراك سوريا لحجم وقوة الصين العالمي، ودورها المهم في تغيير النظام الدولي في العالم، " شكَّلت زيارة الرئيس الأسد إلى جمهورية الصين الشعبية حالة جديدة من تطوّر العلاقات الرفيعة المستوى بين البلدين، لأنها أتت في مجرى التطوّر المتسارع للأحداث العالمية، وضمن جدول أعمال تقوية بناء الجسور بين البلدين، والاستمرار في الوقوف في وجه القوى الأطلسية، والتحولات السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، ولا يزال الصراع محتدماً حول من سيقود النظام العالمي من خلال الضغوط الاقتصادية والسياسية والحروب المدمّرة الدامية، وبروز قوى جديدة تتقدّم بسرعة لأخذ موقعها الذي تستحق في هذا النظام العالمي، وتراجع قوى ودول أخرى "(اليوسف،2023) وهذه الزيارة مهمة للطرفين لسببين، الأول سياسي والثاني اقتصادي، واللافت بهذه الزيارة أن المنفعة بين الجانبين السوري والصيني هي متبادلة وكل طرف بحاجة الآخر وتم توقيع ثلاث وثائق تعاون بين الطرفين، أولها اتفاق تعاون اقتصادي، وثانيها مذكرة تفاهم مشتركة للتبادل والتعاون في مجال التنمية الاقتصادية، وثالثها مذكرة تفاهم حول السياق المشترك لخطة تعاون في إطار مبادرة الحزام والطريق، ولعبت الصين دوراً هاماً في عودة التقارب العربي مع سوريا من أجل تعزيز السلام والاستقرار في المنطقة والتي تنبع من الرؤية الصينية تجاه المنطقة العربية، كما لعبت دوراً كبيراً في التقارب بين السعودية وإيران " نشرت صحيفة "غلوبل تايمز" الصينية تعليقاً للباحث تيان وينلين من كلية العلاقات الدولية في جامعة رنمين الصينية قال فيه إن الولايات المتحدة لعبت الدور الأكبر في تدهور "سوريا من الاستقرار إلى الفوضى". وقارن ذلك بالصين التي تدعو باستمرار إلى الحوار السلمي وتعارض "التدخل الأجنبي"."(زيارة الأسد،2023)، وبذلك نلحظ التطور والتغير في السياسة الخارجية السورية تجاه دولة عظمى مثل الصين في إطار السعي الدبلوماسي السوري للعودة إلى المكانة التي كانت تتبؤها سوريا قبل الحرب عليها، لنؤكد مما سبق عرضه بأن السياسة الخارجية السورية تتسم بالتوجه والتعاون مع دول العالم وخاصةً منها التي تقع خارج نطاق الضغوطات الأمريكية، وذلك من خلال دبلوماسية ناشطة يقوم بها الرئيس السوري بشار الأسد.

المبحث الثالث: السياسة الخارجية السورية تجاه القوى الإقليمية:

لقد شهدت المنطقة العربية تغيرات كبيرة في العلاقات فبعد حرب العراق و20 عاماً من التحولات المذهلة وغير المتزنة في كثير من الأحيان في السياسة الأميركية، لم تعد الولايات المتحدة اللاعب المسيطر الوحيد في المنطقة، فقد دخلت روسيا والصين في حسابات المنطقة كقوى دولية مؤثرة وصعدت إيران وإسرائيل وتركيا والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة كقوى إقليمية. وتواجه المنطقة العديد من التحديات المزعزعة للاستقرار، ومع تراجع الدور الامريكي في المنطقة وعدم قدرتها على حل الأزمات التي حصلت، مما دفع الدول العربية والإقليمية لشق سبلها الخاصة للمضي قدماً لحماية مصالحها وحماية أمنها الإقليمي

المطلب الاول: السياسة الخارجية السورية تجاه تركيا

أولاً: تاريخ العلاقات السورية –التركية: إن العلاقة بين سوريا وتركيا لم تسر على وتيرة واحدة منذ نشأتها بل تأرجحت بين العداء والوفاق، بدأت التوتر في العلاقة منذ قيام تركيا بضم لواء إسكندريون السوري عام 1938 بمؤازرة من الانتداب الفرنسي، وهذه العلاقة تعتبر ذات طبيعة معقدة ومتشابكة بسبب التداخل الجغرافي والسكاني للبلدين، ففي عام 1957 وبعد تأسيس حلف بغداد وانضمام سوريا إلى جانب مصر للتصدي إلى سياسات الحلف، حشدت تركيا قواتها على الحدود السورية مما ساهم في تسريع قيام الوحدة بين سوريا ومصر 1958، وكذلك توترت العلاقة وتم حشد القوات مجدداً في عام 1998 لإلزام سوريا بطرد عبد الله أوجلان زعيم حزب العمل الكردستاني التركي، وبعدها تم توقيع اتفاقية أضنة في نفس العام بين البلدين، وبدأت العلاقة بين الطرفين تعود للتقارب والود وذاد هذا التقارب في عام 2004 بعد حرب العراق واغتيال رئيس الوزراء اللبناني وفرض حالة من العزلة على سوريا، وفي عام 2007 نفذت إسرائيل ضربة جوية على سوريا مستخدمة قاعدة أنجرليك التركية، مُدّعيةً أن الغارة استهدفت مفاعل نووي في محافظة دير الزور السورية، مما دفع بالرئيس السوري بشار الأسد لزيارة تركيا وخاصة أن مؤتمر أنابوليس الذي دعت واشنطن لعقده لحل الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين كان ذو أهمية لسورية، وتريد دمشق أن تلعب أنقرة دورا بإقناع واشنطن بوجهة النظر السورية القاضية بضرورة طرح قضية الجولان على أجندة المؤتمر الدولي " والصحفي التركي أورخان محمد علي رأى أن الأسد جاء إلى أنقرة بمجموعة من المطالب، على رأسها الحصول على ضمانات تركية بعدم السماح لإسرائيل باستخدام أراضيها لشن هجوم على سوريا، خاصة بعد وجود شبهات بأن الطائرات الإسرائيلية التي أغارت على سوريا في يوليو/ تموز الماضي استخدمت الشريط الحدود التركي السوري "(الزعبي،2007)، والرئيس الأسد كان يرى في علاقة بلاده مع تركيا نموذج لعلاقات استبدلت الخصومة بالمحبة والالتقاء، وفي أيلول 2009 شارك الأسد في حفل الإفطار تلبية لدعوة من حزب العدالة والتنمية في إسطنبول بحضور رجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي " وقال الرئيس الأسد: لقد أخطأنا بحق أنفسنا عندما قبلنا أن نكون وقوداً للصراعات الدولية الكبرى فأحرقتنا مراجلها وعندما أقول إننا أعدنا الأمور إلى طبيعتها فإنني أعني أننا حولنا استخدام هذا الوقود من أجل بناء منطقتنا "(حفل إفطار،2009) وكان هناك نوع من التوافق بين البلدين حول العديد من القضايا التي تهم المنطقة مثل العراق والمسألة الكردية ولبنان ولعل القضية الفلسطينية وسياسات اسرائيل تجاه قطاع غزة كانت العامل الأهم لهذا التقارب وخاصة بعد الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية التركي 2010، " ويبدو أن السوريين والأتراك نتجوا بكفاءة نسبية واقعاً سياسياً ولكنهم لم يستطيعوا انتاج أفكار ورؤى نظرية مكافئة، وعلى العموم كان خطابهم سطحياً" (محفوظ،2011،51)، حيث لا يمكن وصف السياسة الخارجية السورية تجاه تركيا قبل عام 2011 بالناجحة بسبب عدم قراءة سوريا بشكل جيد للأطماع التركية ورؤيتها الاستعمارية والدور التركي في دعم المجموعات الإرهابية المسلحة ضد الدولة السورية.

ثانياً: توتر العلاقات بعد عام 2011: مع تسارع أحداث الأزمة السورية ودخول تنظيم داعش الإرهابي على خط المواجه مع الدولة السورية طرأت تعديلات على سياسة تركيا تجاه سوريا " فقد أشارت مجلة فورين بوليسي في مقال لها تم نشرة 2019 بأن الحكومة التركية سمحت بعبور 30 ألف مسلح إلى الأراضي السورية عبر حدودها للانضمام إلى تنظيم داعش عبر ما يسمى " الطريق الجهادي السريع " في 2013 "(Syrian–Turkish، 2020) وهناك علاقة مشبوهة بين تركيا والإرهاب، كان آخرها ما كشفه تقرير لموقع "إنفيستيغيتف بروجكت" عن دور أكبر جمعية خيرية تركية في دعم الإرهاب برعاية استخباراتية حكومية، إضافةً إلى ذلك قامت تركيا بالتدخل العسكري في الأراضي السورية بحجة محاربة الأكراد وحماية أمنها القومي " وفي الفترة الممتدة بين العام 2016 والعام 2020، أقدم الجيش التركي على شن أربع عمليات عسكرية داخل الأراضي السورية في منطقي الشمال والشمال الشرقي، إذ بدأ في آب 2016 عملية "درع الفرات"، ثم عملية "غصن الزيتون" كانون الثاني 2018، تلتها عملية "نبع السلام" في تشرين الأول 2019 وعملية "درع الربيع" في شباط العام 2020 وكلّها تحت ذريعة "حماية الأمن القومي التركي"(اليوسف،2022) ويرى الباحث أن سياسات النظام التركي تقوم على الحفاظ على نهج أجداده العثمانيين وأطماعهم في سوريا والمنطقة.

ثالثاً: السعي التركي نحو التقارب مع سوريا: بعد فشل كل المحاولات الإقليمية والدولية في تحقيق مشروعها التخريبي في سوريا بسبب صمود الشعب السوري وتمسكه بأرضه والتفافة حول قيادته الحكيمة، أدركت انقرة بعدم صواب سياستها العدائية تجاه سوريا ونتيجةً للسعي الروسي لتحقيق الاستقرار في المنطقة والتقريب بين دوله، وحاولت تركيا التقارب مع سوريا " وقال الرئيس التركي أنه اقترح على نظيره الروسي فلاديمير بوتين تشكيل ألية ثلاثية مع روسيا وسوريا لتسريع الدبلوماسية بين أنقرة ودمشق" (نسعى لتأسيس،2022)، وذلك رغبة منه في العودة إلى لعب دور هام في المنطقة واستعادة الدور الفاعل لتركيا في سوريا من أجل محاربة الأكراد " وبعد أكثر من عقد على الفتور الدبلوماسي والعلاقات المتوترة بسبب الأزمة السورية، استضافت موسكو لقاء جمع وزير الدفاع التركي خلوصي أكار ونظيره السوري علي محمود عباس، ورئيسي المخابرات في البلدين هاكان فيدان وعلي مملوك بمشاركة وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو "(وزيرا الدفاع،2022)، وحاول أردوغان ساعياً الى اللقاء مع الرئيس السوري بشار الأسد وخاصة قبل الانتخابات الأخيرة في تركيا لزيادة رصيده الشعبي، وكان الرد السوري واضحاً نقرئه في مقابلة الرئيس السوري مع قناة سكاي نيوز والسؤال الذي تم طرحه عليه عن العلاقة مع تركيا وشروط سوريا لعودة العلاقة مع تركيا التي أشترط فيها أردوغان أن يكون اللقاء بدون شروط مسبقة، وأجاب الأسد مضيفه " كلمة من دون شروط مسبقة للقاء يعني من دون جدول أعمال، من دون جدول أعمال يعني من دون تحضير، من دون تحضير يعني من دون نتائج، فلماذا نلتقي أنا وأردوغان؟! لكي نشرب المرطبات مثلاً. نحن نريد أن نصل لهدف واضح، هدفنا هو الانسحاب من الأراضي السورية، بينما هدف أردوغان هو شرعنة وجود الاحتلال التركي في سورية، فلذلك لا يمكن أن يتم اللقاء تحت شروط أردوغان "(لقاء خاص،2023) ويشترط الأسد على انسحاب القوات التركية من سوريا ووقف دعم الإرهابيين، ويرى السوريون أن الإرهاب الموجود في سورية هو صناعة تركية وإن تسميات المجموعات الإرهابية مثل جبهة النصرة، أحرار الشام هي تسميات مختلفة لجهة واحدة كلها صناعة تركية وتموّل حتى هذه اللحظة من تركيا، ويمكننا القول بأن سياسة الرئيس بشار الأسد تجاه تركيا كانت تقوم على التأكيد على الثوابت الوطنية والتمسك بالمبادئ ووحدة الاراضي السورية وتفضيل المصلحة السورية على كل شيء.

المطلب الثاني: السياسة الخارجية السورية تجاه إيران:

أولاً تاريخ العلاقات السورية –الإيرانية: إن التحالف بين سوريا وإيران يعود لعدة أسباب منها العداء المشترك لكل من إسرائيل وأمريكا والتهديدات الأمريكية لكل منهما بالإضافة لوجود نظام عربي مختل جعل من المنطقة لعبة في يد القوى الكبرى و تعود العلاقة بين سوريا وإيران إلى عام 1979 وقيام الثورة الإسلامية في إيران، ووقوف سوريا إلى جانب إيران في حربها مع العراق 1980– 1988، وقد وجد البلدان ان تنمية العلاقة بينهما هو استجابة لمثير عدواني وردة فعل على نية أمريكا والغرب على استهدافهما وتعتبر العلاقة بين البلدين نموذج يحتذى به على صعيد المنطقة وتميزت هذه العلاقة بالاستمرارية والتطور، وانتقلت منذ انتصار الثورة في إيران إلى تحالف استراتيجي، ولكن ذلك لم يمنع من حصول توترات في العلاقة بين البلدين وخاصة عندما تم إعلان (إعلان دمشق[1]) 1991 والتصريحات السورية بأن النظام الأمني العربي لابد أن يكون عربياً وأن القوات العربية هي أساسه، مما أثار حفيظة الجانب الإيراني والتزمت إيران موقفاً معارضاً لهذا الإعلان شرحه الرئيس الإيراني حينها هاشمي رفسنجاني " إننا لن نسفك دمائنا لكي تحقق الولايات المتحدة الأمريكية النصر، كما أننا لن نعرض أنفسنا للإهانة جراء هذا الإعلان والذي سيصبح سبباً لتحويل الخليج الفارسي إلى خليج عربي "(الخلايلة،2009،119) ويرى الإيرانيون أن هذا الإعلان سوف يخل بالأمن الإقليمي للدول الخليجية بسبب تدخل أمريكا فيه، وأعلنت إيران أن تحالفها مع سوريا قد اخذ بالمنحى التدريجي متهمةً سوريا بإهمال مكانة إيران في إعلان دمشق، و بعد تولي الأسد السلطة في سوريا عام 2000 والاحداث التي مرت بها المنطقة رأت سوريا بالوجود الأمريكي في العراق تهديداً لأمنها الإقليمي وسعت إلى جعل علاقتها مع إيران تحالفاً استراتيجياً من أجل حماية أمنها " وتسعى إيران في دعمها لسوريا إلى تقوية وضعها على طاولة المفاوضات حول ملفها النووي وهو الأمر الذي من شأنه تحقيق مكاسب تفوق سياسة الحياد تجاه الأزمة السورية "(الزعبي،2019،25).

ثانياً: التوتر في العلاقات بين سوريا وإيران: نتيجةً للمتغيرات الإقليمية والدولية التي دفعت سوريا وإسرائيل لإجراء مفاوضات وبدأت قصة المفاوضات في شباط/فبراير 2007، عند لقاء أيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي مع رجب طيب أردوغان، وطلب أولمرت أن يكون وسيطاً بينه وبين الرئيس بشار الأسد، " حيث قام بنقل «رسالة دراماتيكية» من أولمرت إلى الأسد في نيسان/أبريل 2007، وفيها يقول: «أنا أعرف ما هو ثمن السلام مع سورية»، حيث ألمح أولمرت إلى أن اتفاق السلام مع سورية ينطوي على «انسحاب كامل من هضبة الجولان»، وبالتوازي طلب معرفة «ماذا سيكون موقف سورية إذا وقّع اتفاق مع إسرائيل بالنسبة إلى حلفائها مع إيران، حزب الله وحماس"(العوده الله،2019) وجاء الرد السوري في خطاب الرئيس بشار الأسد أمام مجلس الشعب السوري في تموز 2007 بأن المطلوب من المسؤولين «الإسرائيليين» " إعلان رسمي، وغير ملتبس، حول رغبتهم في السلام؛ و تقديم ضمانات عودة الأرض كاملةً، و لا بد من ضمانات لكي يتأكد السوريون أن الحديث ليس حول الأرض التي ستعود، لأن الأرض ستعود كاملة، ولكن سيتم النقاش حول موضوع الترتيبات الأمنية، وطبيعة العلاقات السلمية كما حصل في التسعينيات من القرن الماضي أيام اسحق رابين " (المصدر السابق،35) وكانت إسرائيل غير جادة في هذه المفاوضات ومتعنتة الى حدٍ كبير وعملت الى إطالة أمد المفاوضات التي لم يكتب لها النجاح " أعلن وزير الخارجية السوري وليد المعلم الأربعاء تأجيل الجولة الخامسة من المفاوضات غير المباشرة بين سوريا و(اسرائيل) التي كان من المفترض أن تجري يومي 18و19أيلول في

[1] إعلان دمشق 1991 أفرزته أزمة الخليج الثانية والذي يضم الدول الخليجية ومصر وسوريا من أجل تجاوز المحنة التي ولدتها الحرب وبناء نظام عربي جديد وتعزيز العمل العربي المشترك

تركيا بناءً على طلب الجانب الإسرائيلي"(سارة،2008) وبعد مجيء نتينياهو إلى السلطة رفض المحادثات غير المباشرة مع سوريا وأصرَّ على حدوث مفاوضات مباشرة مما أدى إلى فشلها، وكانت إيران رافضة لهذه المفاوضات لأنه حسب اعتقادها بأن تلك المفاوضات لن تتوقف عند استعادة سوريا للجولان المحتل بل ستؤدي إلى اتفاق سلام مع إسرائيل مما يضعف موقفها.

ثالثاً: العلاقات بعد عام 2011: بعد الأزمة السورية 2011 والتدخل الخارجي فيها عبر إرسال المرتزقة " ولقد بلغ عدد المقاتلين الأجانب القادمين من أصقاع الدنيا كلها في سوريا لوحدها حوالي 22 ألف حسب تقديرات الأمم المتحدة، يعبرون الحدود بعلم الدول الإقليمية والأوربية والأمريكية " (سعيد، 2015،94)، وبعد اتضاح المؤامرة الكونية على سوريا ازداد التنسيق والتعاون بين إيران وسوريا للتصدي لهذه المؤامرة " إن ظهور داعش أحيا روح اتفاقية الدفاع المشترك بين سوريا وإيران، وقد عكست تصريحات الرئيس الإيراني التي أكد بوضوح على ارتباط الأمن القومي الإيراني بوحدة الدولة السورية ودعا إلى احترام وحدة أراضيها "(الزعبي،2019) وزار وزير الخارجية الايراني حسين أمير عبد اللهيان دمشق في عام 2022 والتقى نظيره السوري فيصل المقداد لبحث العلاقات بين البلدين " قال المقداد في تصريح للصحفيين: الزيارة فرصة أخرى لنا كما جرت العادة طيلة السنوات الماضية لكي نتشاور في الأمور التي تهم بلدينا والتطورات في المنطقة وأعتقد أن الكثير من المياه كما يقولون في الغرب سارت تحت الجسور لذلك يجب أن نعود لنطلع من الوزير عبد اللهيان على التطورات الأخيرة ولكي نؤكد مرة أخرى وقوفنا إلى جانب الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تعاملها الذكي والمبدع مع الملف النووي" (سوريا وإيران،2022) وكان لسوريا موقفاً واضحاً تجاه ملف إيران النووي، ويرى الأسد أن الإنجاز النووي الإيراني هو نجاح لمحور المقاومة، وفي عام 2019 التقى الرئيس السوري بشار الأسد المساعد الخاص لرئيس مجلس الشورى الإسلامي الإيراني للشؤون الدولية حسين أمير عبد اللهيان والوفد المرافق له في العاصمة دمشق والذي أطلعه على أخر تطورات الملف النووي الإيراني، وفي أيار 2022 زار الرئيس السوري بشار الأسد إيران وألتقى المرشد الأعلى السيد علي خامنئي، والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي " وأكدت وسائل إعلام إسرائيلية، اليوم الأحد، أنّ زيارة الرئيس السوري بشار الأسد لإيران اليوم "تظهر أنّ الحلف مع إيران سوف يبقى وحتى يزداد قوة"(إعلام إسرائيلي،2022) وتكررت الزيارات بين الطرفين، ففي أيار عام 2023 زار الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي دمشق في زيارة رسمية لإجراء محادثات مع الرئيس السوري بشار الأسد، في أول زيارة لرئيس إيراني منذ اندلاع الحرب في سوريا عام 2011 " وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني، خلال مؤتمره الصحفي الأسبوعي في طهران الاثنين إنّ "سوريا دخلت مرحلة إعادة التعمير، وإيران جاهزة لتكون مع الحكومة السورية في هذه المرحلة أيضاً"، كما كانت إلى جانبها "في القتال لمواجهة الإرهاب"، الذي اعتبره "مثالا ناجحا على التعاون بين الدولتين"(إبراهيم رئيسي،2023) هذه الزيارة تعتبر مهمة في توقيتها وخاصةً بعد المصالحة السعودية –الإيرانية والتي من المرجح أن تنعكس على كل بؤر التوتر في المنطقة و" رحبت وزارة الخارجية السورية بالاتفاق الذي تم التوصل إليه بين السعودية وإيران لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بجهود صينية ولفتت الخارجية السورية في بيان إلى أنّ هذه الخطوة المهمة ستقود إلى تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة وإلى التعاون الذي سينعكس إيجابياً على المصالح المشتركة لشعبي البلدين خاصةً ولشعوب المنطقة عامة" (التقارب السعودي،2023) وذلك ينبع من حرص السياسة السورية لتحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة وبذلك يمكن وصف العلاقات بين إيران وسوريا بالاستراتيجية والجيدة هذا لا يعني في المقابل أن مسار هذه العلاقات لا يمكن أن تتغير بل هو قابل للتغير ولكن ليس في المنظور القريب.

المطلب الثالث السياسة الخارجية السورية تجاه السعودية

لقد برز دور سوريا في السياسات العربية بعد خروج مصر من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد 1978 ومن ثم اتفاقية السلام مع إسرائيل 1979، وأصبحت سوريا على قائمة الدول العربية المقاومة للاحتلال الإسرائيلي مما جعلها عرضةً للضغوطات الأمريكية والغربية، مما دفع السياسة الخارجية السورية للتعاون مع الدول العربية الفاعلة في المنطقة والمؤثرة في هذا الصراع، ولطالما كانت سياسة سوريا الخارجية تقوم على التعاون والعمل العربي المشترك، فقد سعت إلى تطوير علاقاتها مع السعودية التي تعتبر دولة فاعلة وقوية على المستوى العربي، فعمدت على تقوية العلاقات معها.

أولاً: تاريخ العلاقات السورية –السعودية: كان الأمير فيصل بن الحسين القادم من الحجاز أول ملك نُصِّب على سوريا عام 1920 والسعودية كانت في مقدمة الدول التي اعترفت باستقلال سوريا عام 1946، وفي حرب تشرين التحريرية 1973 وقفت السعودية إلى جانب مصر وسوريا في حربها ضد إسرائيل وصل إلى حد قطع النفط عن الولايات المتحدة الامريكية لمساندتها لإسرائيل، وكذلك في أزمة الثمانينات والحصار الأمريكي على سوريا فكان الدعم المالي السعودي لدمشق واضحاً، واشترك البلدان بحرب الخليج الثانية ضد العراق 1991 لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي وكان هناك رؤية مشتركة لقيادة البلدين حول تعزيز الأمن القومي العربي وكانت العروبة من أهم المرتكزات الثابتة التي تحكم العلاقة بينهما " وفي 2004 قام الرئيس الأمريكي بفرض عقوبات على سوريا تنفيذاً لقانون أصدره الكونجرس الأمريكي في 2003 تحت عنوان محاسبة سوريا و(استعادة السيادة اللبنانية) وصنفت الولايات المتحدة سوريا على لائحة الدول الراعية للإرهاب "(شحاتيت،2010،51) وبعد أحداث 11 أيلول ظهر نوع من التوافق والتنسيق المشترك بين السعودية وسوريا في مواجهة المشروع الأمريكي الذي كان يهدف إلى تقسيم المنطقة.

ثانياً: العلاقات بين عامي 2003–2011: بعد الاحتلال الأمريكي للعراق 2003 تأثرت العلاقة بين البلدين " ففي البداية ساءت العلاقة بعد اتهام سوريا للسعودية بتسهيل ومباركة الاحتلال الأمريكي للعراق، واتهمت السعودية سوريا بتسهيل دخول المقاتلين ومنهم سعوديون للعراق "(المصدر السابق،54)، ويعتبر الملف اللبناني من أكثر الملفات التي أثرت على العلاقة بين الطرفين وتأثرت بها، وشهد عام 2006 خطوة يرى فيها الباحث أنها استفزاز من السعودية لسوريا تمثلت باستقبال السعودية لعبد الحليم خدام(نائب الرئيس السوري) المنشق، وساهمت قضية اغتيال الحريري في دفع العلاقة بين البلدين إلى مزيد من التوتر، حيث أعلنت المملكة العربية السعودية تأييدها للمحكمة[2]، واعتبرت سوريا أن المحكمة ذات طابع سياسي و ذاد التوتر في العلاقة بعد الانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية في لبنان على إسرائيل 2006 والدور الذي لعبته سوريا في هذا الانتصار

"وخاصةً الدعم العسكري الكبير، وخصوصاً صواريخ "الكورنيت" الروسية التي أُدخلت خلال فترة وقف إطلاق النار المؤقت، وتم إيصالها إلى الجنوب اللبناني، ما أدى إلى انكسار الهجوم البري بشكل كارثي، بعد مجزرة الدبابات الإسرائيلية في وادي الحجير"(الدرزي،2021)، وكان الموقف السعودي من هذه الحرب نابع من التبعية السعودية لأمريكا حيث خرج وزير خارجيتها سعود الفيصل ليصف قيام حزب الله باختطاف جنديين إسرائيليين بأنه مغامرة غير محسوبة، وكذلك انتقاده للدول العربية التي تعطي أولوية لعلاقاتها مع دول من خارج العالم العربي على حساب العلاقة بين الدول العربية، في إشارةٍ واضحةٍ منه إلى العلاقة بين سوريا وإيران، وجاء الرد السوري من الرئيس بشار الأسد في كلمة ألقاها أمام المؤتمر العام الرابع لاتحاد الصحافيين 2006 "

[2] وهي محكمة جنائية ذات طابع دولي اقترحت وأقرت من قبل مجلس الأمن للنظر في نتائج التحقيق التي يقوم به لجنة التحقيق الدولية الخاصة باغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري ومقرها مدينة لاهاي في هولندا

اعتبر الأسد أن فرزا سياسيا جديدا حصل في المنطقة، مشيرا الى أن المعركة بدأت من الآن لولادة شرق أوسط جديد مغاير للمشروع الذي طرحته الولايات المتحدة، وأوضح أن الحرب عرَّت الوضع العربي بشكل كامل، كان المواطن العربي يرى الوضع العربي مع مساحيق تجميل اليوم يرى الوضع بدون هذه المساحيق، والحرب أسقطت أنصاف المواقف وأنصاف الرجال، وانتقد الأسد الدول التي اتهمت حزب الله بالمغامرة في إشارة واضحة الى المملكة العربية السعودية والأردن ومصر"
(الأسد مهاجما،2006) وعادت العلاقات بين البلدين إلى دفئها بعد انعقاد اتفاقية الدوحة في 2008/5/21 حول لبنان وكان من نتائجه انتخاب ميشيل عون رئيساً للبنان " وأضاف الرئيس الأسد: إن اتفاق الدوحة وضع لبنان على الطريق الصحيح ونقل لبنان من حافة الحرب الأهلية إلى مرحلة يتمكن فيها اللبنانيون من الحوار مع بعضهم بشكل سياسي حول مستقبل بلدهم الذي لهم الحق فقط في أن يحددوا ما هو هذا المستقبل" (الرئيس الأسد،2008) وفي عام 2009 دعا العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، إلى إنهاء كافة الخلافات بين الأشقاء العرب بدون استثناء وجاء ذلك في كلمته بالجلسة الافتتاحية للقمة العربية الاقتصادية الأولى بالكويت والتي شهدت لاحقا لقاء مصالحة بين قادة السعودية ومصر والكويت وقطر وسوريا في مقر إقامة الملك عبد الله، وفي عام 2009 جاءت زيارة العاهل السعودي إلى سوريا لبحث الملفات الإقليمية وطي صفحة الخلافات العربية.
<u>ثالثاً</u>: العلاقات بعد عام 2011: بعد الأزمة السورية وتعدد الأطراف الدولية والإقليمية الذين تشابكت وتقاطعت مصالحهم في سوريا، الأمر الذي جعل هذه الأزمة من أكثر الأزمات وأشدها تعقيداً في المنطقة العربية، حيث تعتبر هذه الحرب على سوريا خليطاً غير متوازن من الحرب الدولية والإقليمية والحرب بالوكالة، وهذه الصراع القائم ليس تعبيراً عن صراع مستقل قائم بذاته وإنما صراع مركب متعدد الأطراف، واعتبرت هذه الأزمة كما يرى الباحث بمثابة فرصة لبعض القوى الدولية والإقليمية لتصفية حساباتها مع سوريا، وتعتبر السعودية أحد الاطراف الإقليمية التي ساهمت بشكل فعال في مجريات الأحداث في سوريا، كما ساهمت الأزمة في خلق بيئة مناسبة لاستقطاب الجماعات المسلحة التكفيرية والمرتزقة من كافة أرجاء العالم، ومنها ما يسمى الجيش الحر " الذي أُنشئَ في تركيا عام 2011 بقيادة رياض الأسعد وبعض المنشقين عن الجيش العربي السوري، وبتمويل من بعض الدول مثل السعودية وقطر "(البنا وأخرون،2023،50) وكذلك جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وجيش الإسلام، وقد استضافت دول الخليج قيادات الجماعات المسلحة في أراضيها وقدمت الدعم المالي لهذه المجموعات " وعقدت اللجنة الوزارية العربية المعنية بالوضع في سوريا على المستوى الوزاري في 2011/12/3 بالدوحة بحضور حمد بن جاسم بن جبر أل ثاني وزير خارجية قطر ومشاركة وفود من الأردن والسعودية والمغرب، وذلك للنظر في تقرير وتوصيات اللجنة التنفيذية التي انعقدت في القاهرة بتاريخ 2011/11/30 تنفيذاً لقرار مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري رقم /7442/ تاريخ 2011/11/27 " (جامعة الدول العربية،2011،580)، وذلك في إطار سعي الدول العربية بقيادة السعودية للتدخل في مجريات الأزمة السورية وتأزيم الوضع الداخلي، وكان من قرارات هذا الاجتماع، تجميد أرصدة ومنع كبار المسؤولين في سوريا من دخول أراضي الدول العربية، وتخفيض الرحلات الجوية من وإلى سوريا بمعدل 50%، وقد تحدث الدكتور بشار الجعفري أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها /67/ عن التدخل العربي في الأزمة السورية ودورها الهدام بقيادة السعودية إزاء ما يجري في سوريا " بدءاً من تلاعبها ببعثة المراقبين العرب وانتهاءً بقراراتها الاخيرة التي أعطت الحق لدول عربية بتقديم الأسلحة للمجموعات الإرهابية، وهو ما يعتبر تمويلاً ودعماً للإرهاب وفقاً للمعايير القانونية الدولية ذات الصلة " (كلمة بشار الجعفري،2013،6)، ولا يخفى على أحد دور وكالة الاستخبارات المركزية في السعودية الذين عملوا في غرفة عمليات مشتركة مع الأمريكيين في الأردن لدعم وتسليح وتدريب

المجموعات الإرهابية المسلحة، وجاء ذلك في تقرير نشرته صحيفة وول ستريت جورنال، والتي أكدت أن السعودية جادة في تدمير الدولة السورية وإسقاط حكومتها، وكان ذلك تحت إشراف بندر بن سلطان الذي كلفه الملك السعودي بهذه المهمة.

رابعاً: التقارب السوري– السعودي: بعد مرور قرابة 12 عاماً على الأزمة واقتناع القيادة السعودية بفشل سياساتها تجاه سورية وعدم قدرتها على الإطاحة بالحكومة السورية ومؤسساتها الرسمية، سعت السعودية ومن خلفها الدول العربية إلى تغيير نهجها تجاه دمشق، محاولةً إلى إعادة العلاقات إلى سابق عهدها، وكان لطبيعة التحولات في العلاقات الإقليمية والدولية مثل التقارب السعودي الإيراني الذي تم تحت رعاية الصين الراغبة في تحقيق الاستقرار في المنطقة بما يخدم مشروعها (الحزام والطريق) وتأسيسها لنظام دولي جديد متعدد الأقطاب، أثر هام على عودة العلاقات العربية مع سوريا، والتي أثمرت على موافقة العرب على عودة سوريا لمقعدها في الجامعة العربية، وقد تلقى الرئيس السوري بشار الأسد دعوة رسمية من الملك سلمان للمشاركة في القمة العربية في جدة، والتزاما من سوريا بمواقفها الثابتة والمبدئية تجاه عروبتها ورغبة من الأسد في تحقيق المصالحة العربية بما يحق استقرار المنطقة، شارك الأسد في القمة العربية في جدة في دورتها /32/ عام 2023 وتحدث " إن العمل العربي المشترك بحاجة لرؤى واستراتيجيات وأهداف مشتركة نحولها لاحقاً إلى خطط تنفيذية بحاجة لسياسة موحدة ومبادئ ثابتة وأليات وضوابط واضحة وأشكر خادم الحرمين على الدور الكبير الذي قام به والجهود المكثفة التي بذلها لتعزيز المصالحة في منطقتنا ولإنجاح هذه القمة "(كلمة الرئيس الأسد أمام القمة العربية،2023)، وكذلك شارك الأسد في القمة العربية الطارئة الخاصة بفلسطين التي تعتبر من أولويات السياسة السورية، وقد أعلنت الخارجية السعودية استئناف عمل بعثتها الدبلوماسية في سوريا بعد قرار جامعة الدول العربية بعودة سوريا إلى مقعدها، وبعد زيارة وزير الخارجية السعودية فيصل بن فرحان إلى دمشق في نيسان 2023 وهي الأولى من نوعها منذ أكثر من عقد من الزمن وجاءت بعد زيارة وزير الخارجية السورية فيصل المقداد إلى الرياض، ويرى الباحث أن سياسة سوريا الخارجية تجاه المملكة العربية السعودية شهدت منذ عام 2000، تغيرات كثيرة متأثرةً بالتغيرات الإقليمية والدولية التي حدثت بعد عام 2000، واستطاعت سوريا أن تزيد من نشاطها الدبلوماسي وتتكيف مع الأحداث الجارية.

الخاتمة:

إن تسارع المتغيرات والأحداث الإقليمية والدولية بعد عام 2000، والتغيرات في النسق الدولي وبنيانه، وتحول النظام الدولي إلى نظام أحادي القطبية مع تراجع دور المؤسسات الإقليمية والدولية، جعل سوريا تواجه الكثير من التحديات في وجه دورها الإقليمي وتوجهات سياستها الخارجية، ولكن سوريا استطاعت بكل براغماتية بناء سياسة خارجية جديدة قادرة على التكيف والتغير مع المعطيات الجديدة، وإن الأزمة السورية 2011 شكلت مدخلاً مهماً لإعادة رسم التحالفات في المنطقة وأثبتت أن السياسة الخارجية السورية تتمتع بفاعلية ونشاط وقدرة على التكييف والتغيير والاستجابة وفقاً للتطورات على الوضع الإقليمي والدولي، وإن سوريا رغم التحديات والظروف التي واجهتها تبقى عاملاً إقليمياً لا يمكن تجاهله وسوف تبقى عاملاً للأمن والاستقرار في المنطقة، وذلك يتوجب عليها العمل مع جميع الأطراف الإقليمية والدولية لتحافظ على دورها الريادي تجاه القضايا الإقليمية والعربية، وعلى الرغم من أن الأزمات قد لعبت دوراً هاماً في الحد من قدرة سوريا على لعب دورها الإقليمي في المنطقة، فقد استطاعت سوريا تغيير سياستها الخارجية والتكيف مع الأوضاع الراهنة، فسعت إلى زيادة التنسيق والتعاون مع الدول العربية وتقوية علاقاتها الخارجية مع الدول التي تتمتع بعضوية دائمة في مجلس الأمن كالصين وروسيا وتقوية موقعها الإقليمي بالتعاون مع إيران والسعودية.

النتائج:

1 – إن السياسة الخارجية السورية أثبتت قدرتها على مواجهة الضغوط والتحديات الإقليمية والدولية والذهاب إلى النهاية مما اكسبها الفاعلية والقدرة والديناميكية الحركية.

2 – اعتمدت سوريا في سياستها الخارجية على ثبات المواقف عندما يتعلق الأمر بالمصالح القومية والوطنية ونوعاً من المرونة تجاه الخطط الرامية لتجاوز الأزمات التي حلت بالمنطقة.

3 – أثبت الرئيس السوري بشار الأسد من خلال دوره كصانع للسياسة الخارجية السورية ونظرته للأمور ومدى قدرته على الإمساك بزمام المبادرة وقراءته للقرار الصحيح، بأن السياسة الخارجية السورية تسير وفق خطى ثابتة رغم الاختلاف في جوهرها وكيفية تعاطيها مع الأزمات.

التوصيات:

1 – يجب على سوريا العمل مع الدول العربية من أجل بناء نظام عربي مشترك يكون بديلاً عن المشاريع السابقة وفق استراتيجية عربية للتعامل مع المتغيرات الإقليمية والدولية، مع الحفاظ على المصلحة الوطنية لكل بلد.

2 – يتوجب على سورية البقاء على اتصال مع جميع الأطراف الاقليميين والدوليين لتحافظ على دورها تجاه المصالح العربية والقضايا القومية.

3 – تكثيف الجهود والتعاون والتنسيق في المحافل الدولية والإقليمية وأن تدرك سوريا جيداً أننا نعيش في عصر التكتلات الاقتصادية وعليها الدخول في التكتلات الاقتصادية الإقليمية والدولية.

4 – السعي مع الدول الكبرى الصديقة من أجل بناء نظام دولي جديد متعدد الاقطاب، يسمح لسوريا بحرية الحركة والتي افتقدته في ظل النظام أحادي القطبية.

5 – إقامة مراكز بحثية عربية مشتركة تتخصص بالأمن القومي العربي والإشكاليات التي تواجهه وسبل مواجهتها

6 – عدم السماح لأي دولة أن تمس الثوابت الوطنية لكل دولة عربية أو التدخل في شؤونها الداخلية.

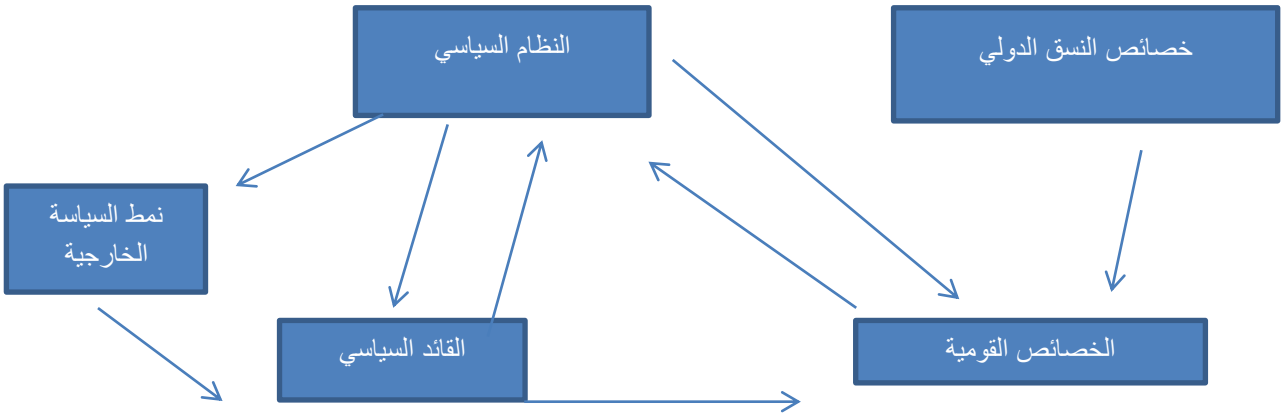

الشكل رقم 1: نموذج تفاعلي لتفسير انماط السياسة الخارجية

معلومات التمويل :

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع

1. أحمد، فادي، (2014). العلاقات السورية الروسية.. تاريخ طويل من التنسيق الشامل ورؤية مشتركة للقضايا الدولية. وكالة سانا للأنباء.1/ كانون أول/2023.
2. الأسد ونجاد يؤكدان أن العلاقات المتينة بين بلديهما لن ترضخ لأي ضغوط،(2010).france24. 5/كانون أول /2023. https://www.france24.com/ar/20100225-iran-syria-bachar-assad-nijad-visit
3. الأسد مهاجما الدول العربية: الحرب أسقطت أنصاف الرجال. (2006). جريدة القبس الكويتية. 16/أب/2023.
4. أوتاواي، مارينا، برازن، حمزاوي، سدجدبور، وسالم، بول. (2009). الشرق الأوسط الجديد.مؤسسة كارينغي للسلام الدولي.54
5. إردوغان: نسعى لتأسيس آلية مع روسيا وسوريا لتسريع المسار الدبلوماسي. (2022). صحيفة الشرق الاوسط. 15/أيلول/2022.
6. إبراهيم رئيسي في زيارة إلى سوريا تمهيدا لمرحلة الإعمار. (2023). BBC NEWS عربي، 3/كانون أول/2023، https://www.bbc.com/arabic/middleeast-65469956
7. إعلام إسرائيلي: زيارة الأسد لطهران تظهر أنّ حلف سوريا-إيران يزداد قوة. (2022). قناة الميادين، 8/أيلول/2022. https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85
8. البنا، أبراهيم، القصاص، وإبراهيم، عبد الحليم، (2023). الأزمة السورية (2011-2022) والصراع الإقليمي والدولي في المنطقة. دراسة في الأصول وأليات إدارة الصراع. المركز العربي الديمقراطي.
9. بوشناقة، شمسة، 2013. التغير في السياسة الخارجية – دراسة نظرية. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية. العدد: 4.: 230-229
10. البيان الصادر عن اللجنة الوزارية العربية المعنية بالوضع في سوريا.(2011). جامعة الدول العربية، الأمانة العامة – قطاع مجلس إدارة شؤون مجلس الجامعة.برقم(ق-023/(12/11) 04 – ص (0580)). 7/تشرين أول /2023.
11. الجراد، خلف. (2020). القائد القومي. بشار الأسد. الجزء الاول. الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة. 416
12. الجعفري، بشار، (1987). السياسة السورية الخارجية 1982- 1946. ط: 1. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. 475
13. الخارجية: سورية لا تعترف إلا بصين واحدة،(2022). الموقع الرسمي لوزارة الخارجية والمغتربين سوريا. 2/تشرين الثاني/2022
14. الخلايلة، المعتصم بالله أحمد. (2009). العلاقات السورية الإيرانية خلال ثلاثة العقود الماضية 1979-2008. رسالة ماجستير، قسم العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية. جامعة مؤته.
15. الدرزي، أحمد. (2021). حرب تموز 2006 وإخراج دمشق من الفِخاخ. الميادين. 2/ تموز /2021. https://www.almayadeen.net/articles/article/1491938/%D8%AD%D8%B1%D8%A8

16. الدبار، محمد. (2019). تحليل السياسة الخارجية: الثوابت والمتغيرات. المعهد المصري للدراسات. 21/تشرين اول 2023/

17. الرئيس بوتين: علاقات الصداقة بين سورية وروسيا تؤكدها زيارة الرئيس الأسد لموسكو.(2023). وكالة الأنباء السورية – سانا. 5/كانون اول/2023.

18. الرئيس الأسد في حفل إفطار لحزب العدالة والتنمية في إسطنبول: العلاقة السورية التركية حققت إنجازات على مستوى العلاقات العربية التركية. (2009). مدونة وطن esyria الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية. 17/أب/2009.

19. الرئيس الأسد يعقد مؤتمراً صحفياً مشتركاً مع الرؤساء ساركوزي وسليمان وأمير قطر. (2008). الموقع الرسمي لوزارة الخارجية والمغتربين سورية.13/أيلول/2023.

20. الرئيس الأسد الشخصية القيادية.(2021). وكالة إيران اليوم الإخبارية. 21/أب /2023. https://iranalyoum.com/?p=56216

21. رصاص، محمد سيد. (2021). السياسة الخارجية السورية (أيار 2003– كانون أول 2011). وكالة نورث برس.

22. الزعبي، رانيا. (2007). الأسد يزور تركيا وجيوبه مليئة بمطالب الوساطة. الجزيرة. 19/أيلول/2023 https://www.aljazeera.net/news/2007/10/19/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF

23. الزعبي، خيام. (2019). السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الأزمة السورية 2011–2018. كلية الاقتصاد. جامعة الفرات. مجلة جامعة الفرات للبحوث والدراسات العلمية. العدد 43.

24. زيارة الأسد إلى الصين: محطة على "طرق الحرير الجديدة"؟.(2023). BBC NEWS عربي. 5/ كانون اول 2023/. https://www.bbc.com/arabic/articles/cv2k2knp171o

25. سارة، عماد. (2008، 18،9). تأجيل الجولة الخامسة من المحادثات السورية – الإسرائيلية. جريدة الرياض. العدد:14696.

26. سعيد، الصافي. (2016). جيوبوليتيك الدم – التاريخ الأسير والجغرافيا المتصدعة. ط:2. سوتيميديا.495.

27. سليم، محمد السيد. (1998). تحليل السياسة الخارجية. ط: 2. مكتبة النهضة المصرية. 570.

28. سوريا تحت حكم بشار (1): تحديات السياسة الخارجية. (2004). التقرير رقم 23 للمجموعة الدولية لمعالجة الأزمات (الشرق الأوسط)، 11/تشرين الثاني/2004.

29. سوريا تطرد دبلوماسيين غربيين. (2012). skynews. 5/تشرين اول /2023 https://www.skynewsarabia.com/middle-east/25402

30. سوريا: التقارب السعودي الإيراني يعزز الأمن والاستقرار في المنطقة. (2023). الميادين. 11/تشرين الثاني/2023، https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7

31. الشاهر، شاهر، (2011). السياسة الخارجية السورية 2000– 2010 عقد التحديات الكبرى. ط: 1. دار العرب للدراسات والنشر والترجمة سوريا. 622.

32. الشامي، طارق. (2021). لماذا افتقدت إدارة بايدن استراتيجية محددة في سوريا؟، 1/تشرين الثاني/2021، independentarabia. https://www.independentarabia.com/node/246681

33. شحاتيت، عبد الخالق خليل محمد. (2010). العلاقات السعودية السورية للفترة 1999–2009. رسالة ماجستير. العلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة مؤتة، الأردن: الكرك.

34. شعبان، بثينة. (2017). حافة الهاوية – الرواية التاريخية لمباحثات حافظ الأسد وهنري كيسنجر. ط: 1. بيسان للنشر والتوزيع لبنان. 352.

35. العوده الله، ميلاد. (2019). قصة المفاوضات السورية – الإسرائيلية في تركيا عام 2008. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.

36. في الذكرى الثامنة والسبعين لتأسيسه الجيش العربي السوري سياج الوطن وحصنه المنيع. (2023). الموقع الرسمي لوزارة الإعلام السورية. 15/كانون اول/2023.

37. الكفارنة، أحمد. (2009). العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية. مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. جامعة بغداد. العدد: 42.

38. كلمة الرئيس الأسد أمام القمة العربية. (2023). الوكالة العربية السورية للأنباء، سانا، 19/كانون اول/2023.

39. كلمة بشار الجعفري أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. (2013). موقع الأمم المتحدة – الجمعية العامة، الدورة 67 الجلسة العامة رقم 80، 15/أيلول/2023.

40. كيكي، محمد هاني، ونجمة، إلياس.(2024). إمكانية الانتقال من الدعم العيني الشمولي إلى الدعم النقدي الاستهدافي في ظل تداعيات الحرب على سورية. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية. 40(1):106–127.

41. لقاء خاص مع الرئيس السوري بشار الأسد. (2023). سكاي نيوز عربية. 8/ كانون اول/2023 ز https://www.skynewsarabia.com/video/1643638-%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A1

42. محفوظ، عقيل. (2011). العلاقات السورية – التركية التحولات والرهانات. المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة. الدوحة: قطر. 62

43. المقداد: سورية وإيران حريصتان على وجود أفضل العلاقات بين دول المنطقة. (2022). جريدة تشرين. سوريا. 23/أذار/2023.

44. المقداد: سياسة سورية الخارجية قائمة على السيادة الوطنية ووحدة الأراضي وتحرير كل شبر محتل. (2022). جريدة البعث. سوريا. 20/ تموز/2023

45. مباحثات الرئيس هو جينتاو مع الرئيس بشار الأسد.(2004). موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية.12/أيلول /2023.

46. الموقع الرسمي للأمم المتحدة. أخبار الامم المتحدة. (2017). تمت المشاهدة. 28/تشرين الثاني/2017.

47. ناصيف، يوسف حتي. (1985). النظرية في العلاقات الدولية. ط: 1. بيروت:دار الكتاب العربي. 341

48. نجاة، علي. (2014). انعكاسات الأزمة السورية على المستويات المحلية والإقليمية. مركز البيان للدراسات والتخطيط العراق.

49. النعيمي، أحمد. (2011). السياسة الخارجية. ط: 1. دار زهران للنشر والتوزيع. الاردن. 418

50. هل يتبنى جو بايدن دورا أمريكيا "مختلفا" في سوريا في مواجهة تركيا وروسيا؟. (2020). BBC News عربي. 23/تشرين الثاني/2023. https://www.bbc.com/arabic/inthepress-55413175

51. هل تستخدم روسيا الفيتو دائما لمنع قرارات مجلس الأمن ضد سوريا؟. (2018). BBC NEWS عربي.15/تشرين اول/2023 https://www.bbc.com/arabic/middleeast-43800890

52. وزيرا الدفاع ورئيسا المخابرات السوريان والتركيان يجتمعون بموسكو في مؤشر على إمكانية تطبيع العلاقات. (2022). France24 . 28/ أيار/2023 https://www.france24.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82

53. وزير النقل السوري يكشف عن مزايا عقد استثمار ميناء طرطوس. (2019). sputnikarabic. 25/أيلول /2023. https://sputnikarabic.ae/20190612/%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%

54. اليوسف، علي. (2021). القائد حافظ الأسد.. شهادات تاريخية.10/أيار/2023. جريدة البعث. سوريا.

55. اليوسف، علي. (2023). إلى عمق التاريخ.. إلى طريق الحرير.. العلاقات السورية –الصينية ليست محطة آنية.. الرهان ارتكز على تقاطع عاملي المصلحة والأيديولوجيا ونمط الخيارات الفكرية. جريدة البعث سوريا. 28/كانون اول /2023

56. اليوسف، علي. (2022). موسكو لا تغفل عينها ازاء ما يحاك ضد سورية "صاعقة الشمال"... عنوان غرفة العمليات لصد تركيا الذاهبة الى المجهول. جريدة البعث السورية، 21/كانون اول/2022.

المواقع باللغة الاجنبية:

1 – Шарифулин. Валерий. (2015). Решение миротворца": реакция на согласие Совфеда – использовать ВС РФ в Сирии. Tass. 30/9/2015. https://tass.ru/politika/2303457
2 - Landler. Mark.(2012). Romney Calls for Action on Syria, but His Party Is Divided. The New – York Times 29/5/2023. https://www.nytimes.com/2012/05/30/world/middleeast/romney-condemns-obamas-syria-policy.html
3 - Sevastopulo. Demetri. and Aime Williams. Donald Trump's change of policy on Syria explained. Financial Times 8/10/2019. https://www.ft.com/content/be8e5ff4-e939-11e9-a240-3b065ef5fc55
4 - Solomon. Jay. (2010). U.S. Woos Syria in Mideast Peace Push. The Wall Street Journal.27/9/2023
https://www.wsj.com/articles/SB10001424052748703694204575518371322034274
5 - Syrian-Turkish relations under Assad and Erdogan,.(2020). MENA Research and Studies Center, Vienna, Austria. 15/11/2023. https://www.mena-researchcenter.org/ar/%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%88%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%d
6- Hinnebusch. Raymond. (2003). Globalization and Generational Change: Syrian Foreign Policy between Regional Conflict and European Partnership. The Review of International Affairs 3(2):190-208. University of St Andrews.